روايات عالمية للجيب 68



تأليست ، هـ. ب الافكرافت ترجمة وإعداد: د . أحمد خالد توفيق



المؤلث



هذا هو لقاؤنا الثاني ـ ريما الثبالث ـ مع هوارد فيليب الأفكر اقت Lovecraft ، الـذي صرنا تعرفه جيدًا .. هناك مطومات لا يأس يها عنه في الكتيبيت 36 و 37 من هنده المنتها هنا هنا التذكرة .

ولد الرجل في 10 أغسطس عام 1890 ، في (بروفودس) بـ (رود آبلاد) .. في هذا المكان تدور أحداث معظم رواباته المخوفة . عاش تجربة قاسرة مع مرض غامض أصاب أباه جطه في غيبوبة لفترة طويلة جدًا .. على الأرجع كان المرض هو زهري الجهاز العصبي .

بدا نبوغ لغوى مبكر جدًا على الصبى الذى تعلم القراءة فى من الثالثة وكتب فى سن الخامسة . بالطبع تركت قصص ألف نبلة ولبلة أثرًا لا يمحى لديه ككل كاتب غربى آخر فى الواقع . فى هذه الفترة أطلق على نفسه (عبد الله الحظرد) وهو الاسم الذى استعمله فيما بعد ليكون صاحب كتاب (العزيف) المخيف

فائق الشهرة . بعد هذا اكتشف الأساطير الإغريقية ويصفة خاصة الإلياذة والأوديسة . كان ميالا للوحدة والانطواء ، وعاتى أمراطنًا تقسية كثيرة ..

عام 1914 صار رئيس رابطة الأنباء الشبان وكتب أولى قصصه (الوحش في الكهف) . كان أصدقاؤه يحبونه ويقولون إنه كان رقيقًا لطيفًا برغم السمعة التي تلاحقه عن كونه يمقت البشر . هناك شاب في قصة (كتولو) يصفه الفكرافت قائلا:

- «شاب أسمر تحيل بادى العصبية والقلق ... كان الفتى شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراسة الظواهر الغربية وكان يعتبر نفسه (شديد الحساسية نحو الخوارق). ولما كان منطويًا صار خَفَيًّا بالنسبة لمجتمعًا ، قلم يعد يعرفه سوى عدد قليل من الناس به .

الحقيقة أن بعض النقاد يعتبرون هذا الفتى لافكرافت كما يـرى

كتب الكثير جدًا من القصص والكثير من الشعر ، كما أنه ترك تراثا هاتلا من الخطابات والمقالات. توفى الرجل فقيراً عام 1937 شاعرًا بأن حياته كاتت فاشلة ، غير عالم أنه سيصير توءمًا في الشهرة لمواطنه العظيم (إدجار آلان بو) ، وهو ما يثير أمثلة عديدة عن تركنا لهؤلاء العاقرة يتعبون في حياتهم ، ثم تخليدهم وكتابة المجلدات عنهم بعد موتهم .

ترك المفكر افت تراثًا خياليًّا هائلًا يضع أسماء مثل (العزيف) و (نیکرونومیکون) و (کتولو) و (آرخام) .. وهی أسماء صارت شهيرة جدًا لدرجة أنه كان يستعملها بين قصة وأخرى ، واستعملها كتاب آخرون في قصصهم . وهناك كتاب مثل (برايان لوملى) تأثروا جدًا بهذه العوالم وكتبوا مثلها بالضبط .. عامة هو متأثر بفكرة الكياتات القديمة Old Ones التي كانت تحكم الكون قديمًا ثم نامت أو نسبت ، والتي نقابلها كثيرًا في كتابات (دى) و (كراولي) الساحرين الشهيرين . هذاك تيمات ملحة في كتاباته مثل الشخصيات الحساسة غريبة الأطوار التي تعيش منفردة وتتصل بسر مخيف غامض ، ينكشف لراوى القصة فيجن أو بهرب ويقضى حياته مذعورًا . هذاك الأسماء التي تحمل طابع (نيو إنجلند) _ مسقط راسه _ والتي يحب أن يستخدمها في عناوین القصص مثل (وصیهٔ راندولف کارتر) و (حالة تشارلز دكستر وارد) و (ظل فوق إينزماوث) و (ريتشارد بيكمان) و (أرثر جيرمين) ... إلخ ..

اليوم تلتقى مع مجموعة من قصص الافكرافت القصيرة التى تحمل إحداها عنوان (نداء كتولو) .. هذه قصة شهيرة جداً كتبها عام 1926 ونشرت في مجلة (حكايات غربية) عام 1928 .

(ديرليث) تلميذًا مخلصًا لكنه بالغ بعض الشيء ؛ لأنه أصدر كتابًا كاملاً يدور حول محاوراته مع (الافكرافت)، وفيما بعد اتضح أنها محاورات لم تحدث قط بل هي وليدة خياله!

اليوم يمثل (الفكرافت) تراثًا شديد الأهمية في الأدب الغربي والأمريكي بالذات لا يقل عما تركه الشاعر العظيم إدجار آلان بو .

د ـ أحمد حالد

يعرف عثماق لافكرافت أن كتولو كائن يتكرر بالحاح في أدب الرجل . ويرى بعض النقاد الغربيين أن الكائن مستوحى من شخصية (الكراكين) الوحش النائم في حفرة في أعماق المحيط في قصيدة لـ (تنيسون Tennyson) . إنه الوحش الأخطبوطي المكلف بالتهام الحسناء أندروميدا والتي سينقذها (برسيوس) في آخر لحظة بالاستعاثة برأس ميدوسا . لو أفاق كتولو قلن يعود هناك عالم نعيش فيه . اعتقادي الشخصي هو أن لافكرافت يتجاوز الولع الأدبي إلى ما يشبه الافتتان التديمية فعالاً .. اهتمامه يتجاوز الولع الأدبي إلى ما يشبه الافتتان الديني بالفكرة .

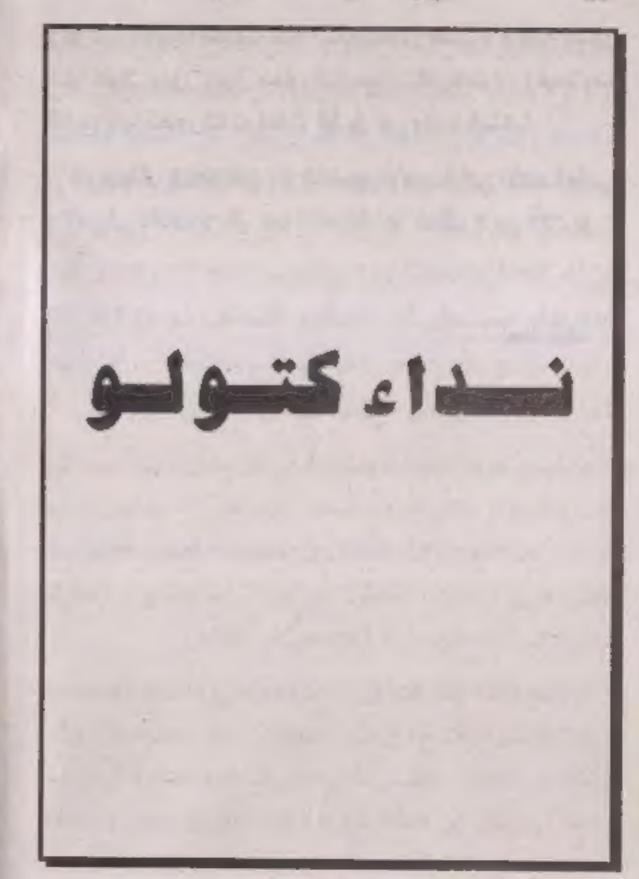
من جدید بترك الفكرافت بصماته فی كل مكان: مثلاً نجد فی قصة (كتولو) مفتش شرطة اسمه (لیجراس) .. بستعیر كاتب الرعب (هندرسون) هذا المفتش فی مجموعة قصص خاصة به تحمل عنوان (حكایات المفتش لیجراس)، كما بستعیره (مارك ایس) فی قصته المصورة (الهامس فی انظلام).

لم تضع تركة لافكرافت لأن تلاميذه وعلى رأمهم (أوجست ديرنيث) قاموا بافتتاح دار نشر اسمها (آرخام Arkham) وقد تولت نشر اعماله المتناثرة في عشرات المجلات، فالرجل لم يصدر أي كتاب في حياته سوى (ظل فوق إينزماوث) . كان

أعتقد أن أكثر الأشياء رحمة هي عجز العقل البشرى عن الإلمام بمكونات الكون . نحن نعيش في جزيرة هادئة من الجهل ومعط بحار سود من اللانهائية ، وقد كتب علينا ألا نبحر بعيدًا . والعلوم التي يبحر كل منها في اتجاه لم تؤذنا كثيرًا ، لكن يوما ما سوف تنجح تلك المعارف المتناثرة في فتح ثغرات في جدار الحقيقة ، ونفهم وضعنا المخيف . عندها إما أن نجن أو نفر من الضوء إلى الظلام والأمان حيث العصور المظلمة الجديدة .

لقد فهم علماء الدين والفلاسفة حجم الكون المروع الذي يبدو فيه وجودنا البشرى مجرد حوادث عارضة . لقد لمحوا ، لكن ليس كلامهم هو مصدر ما أراه من تلك الحقب المظلمة التي تفزعني عندما أفكر فيها ، وتثير جنوني عندما أحلم بها . هذه اللمحة جاءت من احتشاد أشياء متناثرة .. مثلاً في هذه الحالية جاءت من جرائد قديمة ومذكرات أستاذ جامعي ميت . وأتمني ألا ينجح شخص آخر في جمع هذه الصورة ثانية ، لأنني ما دمت حيًا لن أضع حلقة أخرى في تلك السلسلة المخيفة .

أحسب أن البروقسور أراد أن يخفى ما يعلمه ، وكان ليدمر المذكرات لولا أن الموت اختطفه .



بدأ كل شيء علم 1926-1927 مع وفاة عمى (جورج جامل أنجيل) الأستاذ الفخرى للغات السامية في جامعة براون بروفيدنس .. كان عمى حجة في النصوص القديمة وكانت متاحف كثيرة تستشيره لذا سوف يتذكر كثيرون وفاته في سن التسعين . وفاته أبضًا كانت غربية لأنه هلك وهو يغادر قاربه إذ دفعه زنجى له سمت البحارة . لم يعرف الأطباء سبب الوفاة وإن قدروا أنه خلل في قلب العجوز الذي لم يتحمل تلك السقطة .. لم أر شيئا غربيا في هذا .. لكنني فيما بعد بدأت أتساعل وما زلت ..

كنت وريث عمى ومنفذ وصيته لأنه مات أرمل بلا أبن . لهذا قمت بنقل كل أوراقه إلى مكتبى في بوسطون لأن على أن أدرسها بعناية . معظم هذه الأوراق ستنشرها الجمعية الأثرية ، لكن هناك صندوقًا واحدًا أكره أن يراه أحد .

كان مقلقًا ولم أجد المفتاح حتى خطر لى فحص حلقة المفتيح التى يحملها عمى في جيبه ، وبالفعل فتحته لكني وجدت عقبة أصعب ..

ما معنى نقش غريب على قطعة صلصال ومجموعة أوراق لا علاقة بينها ؟ . . هل كان عمى في أولقر أيامه ضحية نصب ؟ . . كان النقش على شكل مستطيل سمكه أقل من بوصة ومسلحته ست بوصات ومن الواضح أنه حديث العهد .. لكن تصميمه كنان

لا يمت للحداثة يصلة بل هو يمت للانتظام الغامض المعين لكتابات الأقدمين . ومن الغريب أن عمى لم يشر قط لهذه القطعة في أوراقه كالنها لم توجد .

فوق النقوش كان حقر لشكل معين يصعب تبيَّن طبيعته ، لكنه يدائي كوحش ما أو رمز يمثل وحثنًا . ريما أقول لك إلى تخيلت رؤية لخطبوط وتثين ورسم كاريكاتوري لإنسان ، لكني بهذا أن أكون لَمْيِدًا فِي الوصف . رأس تو مسات قوق جسد قشرى له جناهان ضامران ، وخلفية الصورة تعطى الطياعًا ببنية هندسية ضخمة .

كانت الكتابة المرافقة لهذا الرسم بقط البروفسور ، وكانت تحمل عنوان (طائفة كتولو)، يحروف كتبت بعناية لا تسمح بالخطأ . كان للنص مقسمًا تقسمين ، الأول يحمل عنوان (1925 الحلم وأعمال الحلم يومناطة ه . أ . ويلكوكس) . والثاني يحمل عنوان (قصة المفتش جون ليجراس من نيو أورلياتز). وكاتت ياقى الأوراق تضم أجزاء من كتب عن أطلطنس وليموريها . كما كان هناك كالم عن كتاب (الغصن الذهبي) تقريزر وكتاب موري (جماعات السحر في شرق أورويا) .

القسم الأول كان يحكى حكاية معينة : يبدو أنه في مارس علم 1925 قد زار البروفسور شاب أسمر تحيل بدى العصبية والقلق ، ومعه قطعة الصلصال التي كانت طارجة لينة وقتها . كانت بطاقته

تحمل اسم (هنرى أنطوني ويلكوكس) ، وقد عرف عمى أسرته . وهو يدرس الفنون ويعيش وحده في (قلير دي ليس) . كان الفتى شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراسة الظواهر الغربية وكان يعتبر نفسه (شديد المساسية نمو الخوارق) . لما كان منطويًا صار خفيًا بالنسبة لمجتمعنا ، فلم يعد يعرفه سوى عدد قليل من الناس في البلدان المجاورة .

كان قد جاء لعمى يطلب عونه في قراءة النقوش على الصلصال .. لكن عمى كان حادًا معه لأن طراحة العينة التي أحضرها جعلت لها علاقة بكل شيء ما عدا علم الآثار . لكن الفتى أفهمه أن هذا الصلصال حديث فعلا لأنه نقش عليه ما رآه في الحلم .

هكذا بدأ يحكى القصة الغربية التي ثالث اهتمام عمى المحموم .

ليلة أمس كانت هناك هزة أرضية خَفيفة ، وهي أقوى هزة شعرت بها (نيو إنجلند) منذ سنوات . عندما نام الفتى حلم بمدن عملاقة بها مبان ضغمة ونصب حجرية تتاطح السماء، كلها ينز منها سائل أخضر لزج ويغمرها رعب خقى . كاتت النقوش الهيروغليفية تغطى كل شيء ، ومن مكان ما جاء صوت ليس بصوت ، بل هو شعور مضطرب يقدر الخيال فقط على أن يعتبره صوتًا . لكنه تبين فيه كلمة (كتولو فاتجن) .

كاتت هذه الكلمات مما أثار عمى البروفسور (أنجل) . وراح يمستجوب الفتى ويتقحص النقش الذي صنعه على الصلصال . قيما بعد تدم عمى كثيرًا لأنه لم يقهم المعنى القورى لهذه النقوش ، وأضاع الكثير من الوقت يستجوب الفتى عما إذا كان ينتمى لجماعة دينية أو وثنية سرية مع الوعد بأن يظل الأمر سراً . فلما أيقن أن الفتى لا يدارى سراً أخذ منه وعدا بأن يخبره بمحتوى أحلامه في المرات القادمة .

في العرات التالية تكررت أحلام مماثلة ، لكن القتى كان يسمع فيها دومًا كلمتى (كتولو) و(رئيه) ..

في 23 مارس لم يظهر الفتى ، وبالسؤال عنه عرف أنه مصاب بحمى غامضة وقد نقل إلى بيت أسرته في شارع (ووترمان). هكذا ظل عمى يتصل لمعرفة أخباره كما راح يتردد على طبيبه المعالج . كان الفتى غارفًا في الهلاوس وقد تكرت ذات الرؤى التي وصفها من قبل ، مع وصف شيء ارتفاعه عدة أميال بتجرك ..

كان رأى الطبيب أن الحمى ناجمة عن مرض عضوى ، و لا يمكن تفسير ها باختلال عقلي .

في 2 إبريل زالت كل أسباب مرض (ويلكوكس) وجلس في فراشه مندهشًا من كونه في بيته ، فهو لا يذكر أي شيء حدث له منذ 22 مارس . وقد رأى الطبيب أنه استعاد صحته ، لذا عاد لدراسته .

لم يعد الفتى ذا نقع للبروفسور (أنجل) لأن كل ذكريات الحلم اختفت مع شفاله . هذا ينتهى الجزء الأول من المذكرات لكن هذاك مذكرات أخرى جعلتنى أفكر بعسق .

كالبت تلك المذكرات تصف أحسلام أشخاص آخرين ، تقع في ذات الفترة التي تدور فيها أحلام ويلكوكس . لقد أجرى عمى بحثًا مفصلاً بين مجموعة كبيرة من الناس يطلب منهم فيه أن يحكوا أحلامهم . لا أعرف مدى الاستجابة لعطلبه ، لكلسه تلقى أوراقنا تفسوق قسدرة رجسل يسلا سكرتيس على

كان الناس العاديون الذين يشكلون (ملح الأرض) في نيو إنجلند لا يشكلون أهمية ما اللهم لم يروا شيئًا ، برغم بعض حالات متناثرة مقلقة كلها في الفترة بين 22 مارس و2 إبريل ، العلماء كذلك لم يعطوا معلومات مهمة .. فقط الشمواء وأهل الفن هم من أعطوا إجابات مهمة ، وكان الذعر ليصيبهم لـ قارنوا أحلامهم بيعضها .. أحد الحالات كان مهندسًا مولفًا بالأمور الغامضة وقد أصابته حالة جنونية تتوافق مع الحمى التي أصابت ويلكوكس ، ثم مات بعد هذا بشهر وهو يصمر خ طالبًا من ينقذه من شيء قر من تلجميم ،

بيدو أن عمى استعان بوكالة صحفية ما تجمع له أخيار الصحف حول العالم .. مثلاً هناك مهندس في لندن كان يحلم ثم نهض صارحًا وألقى بنفسه من نافذة . هناك أخبار من أمريكا الجنوبية . في الهند هناك برقية تصف هياجًا بين الأهالي في يومى 22 و23 مارس . هناك رسام فرنسى على لوحة مخيفة اسمها (صورة حلم) في صالون ياريس .

عد كبير من القصاصات ، جعلني أتساط كثيرًا عن معنى هذا .

البوليس عرف أنه وجد دياتة مجهولة لهم بالكامل ، أكثر شيطانية من أية دياتة فودوو أخرى .

لم يتمكن أحد من معرفة أصل هذه الطقوس لهذا قدر رجال الشرطة أن التمثال قد يقودهم لمعرفة مصدر هذه الممارسات الشنيعة .

لكن المغتش لم يتوقع رد فعل الطماء الذين رأوا التمثال فالتفوا حوله .. قدمه وغرابة أسلوب النحت جعلاه غربيا غير مألوف . كان ارتفاعه نحو سبع بوصات يمثل وحثنا له منظر شبه بشرى ، لكن رأسه هو أخطبوط ، وجلده زلق مغطى بالحراشف وله جناحان صغيران . كان مكتنزا بجلس على صخرة عليها كتابة لا يمكن فهمها . كان الرأس مائلاً للأمام بينما امتنت ممساته تلمس مخالبه الأمامية . أما أكثر ما يثير الذعر فهو أن كل شيء حقيقي جدًا ويرغم هذا لا يمكن معرفة مصدره . حروف الكتابة كاتت غربية جدًا قلم يستطع أي واحد من هؤلاء الخبراء العالميين تحديد شيء عن مصدرها .

الموضوع والمادة كاتا ينتميان لشىء بعيد جداً وغريب على البشرية كما نعرفها . شىء يذكرك بشكل مروع بدورات الحياة التى لم نكن فيها ..

2_حكاية المفتش ليجراس . .

الأمور التى شكلت أحلام النحات وجعلت عمى مهتمًا بالنقوش لهذا الحد ، كانت هى موضوع القسم الثانى من النص . بيدو لى أن البرفسور نفسه رأى المعالم الجحومية لتلك البشاعة التى لا اسم لها والنقوش الهيروغليقية الغامضة ومسمع المقاطع التى تبدو مثل (كتولو).

حدثت هذه التجرية المبكرة عام 1908 قبل 17 عامًا عندما عقدت جمعية الآثار الأمريكية اجتماعها السنوى في سالت لويس. هذه اللقاءات فرصة يقصدها كل من لديه أسئلة بيغى إجابات عنها ، وكان من جاء لهذا الاجتماع رجلاً عادى المظهر في منتصف العمر جاء من (نيو إنجلند) طلبًا لمعلومات ما كان ليحصل عليها من مصدر آخر . كان اسعه (جون ريمون ليجراس) وكان مفتش شرطة . ومعه كان يحمل تعثالاً منفراً قديمًا جدًّا عجز عن تحديد مصدره . وعليك ألا تتخيل أن المفتش كان لديه أي اهتمام بالآثار . كان الأمر اهتمامًا مهنيًا صرفًا .. لقد وجدوا التمثال جنوبي نيو أورلياتز أثناء (كيسة) قاموا بها على حفل لسحرة الفودوو ، وكاتت الطقوس مخيفة لدرجة أن

- « فنوجلوى مجلوناف كتولو رائيه وجاتاتج فتاجن .. »

وكان المفتش قد سبأل هؤلاء الذين اعتقلهم عن معنى هذه الكلمات فقالوا له إنهم عرفوا من أجدادهم أن معناها:

- و في بيته في (رليه) ينتظر كتولو المبت ويطم .. »

في الأول من توقمير عام 1907 جاء بلاغ لشرطة نيو أورلياتز من سكان الجنوب حيث المستثقعات. إن السكان هذاك طبيون لكنهم بدائيون نوعًا يعانون خوفًا شديدًا من شيء بنقض عليهم ليلا . كان سحر قودوو لكنه أكثر إرعابًا من أي سحر عرفوه . نقد بدأت نساؤهم وأطفالهم في الاختفاء مع صبوت دقات الطبول التي تدوى وراء الأحراش حيث لا يجسر أحد على الذهاب .

هكذا انطلق عشرون رجل شرطة في سيارتين ومعهم أحد السكان المذعوريين كدليل لهم . وراحت السيارتان تشقان طريقهما عبر أحراش لا يخترقها الضوء . في النهاية وصلوا إلى المستعمرة فهرع السكان يستقبلونهم هاملين المصابيح والذعر في عيونهم ؛ لأن صوت الطبول كان يدوى من يعيد . ومن حين لأخر تدوى صرخة تجمد الدم في العروق .

رفض الأهالي جميعًا أن يتقدموا خطوة واحدة نحو مكان تلك الطقوس الدنسة . هكذا اضطر المقتش ليجراس ورجاله إلى أن يذهبوا وحدهم نحو مصدر تلك الضوضاء . فقط كان هذاك رجل واحد تذكر شيدًا معاللاً ، وهو المرحوم (ويليام تشاقنج ويب) أستاذ الأكثرويولوجي في جامعة يرنستون . كان الرجل قد قام برحلة استكشافية منذ 48 عامًا إلى جزيرة جرينالاد بحثًا عن آثار (رونية) . على الساحل الغربي قابل قبيلة من الإسكيمو لهم دين غريب يقوم على عهادة الشيطان ، أثاروا رعبه بدموية وبشاعة معتقداتهم . وكاتوا يؤمنون أن هذه الدياتة جاءت من عصور سحيقة قيل وجود عالمنا . كان هناك كلام عن شيطان قديم اسمه (تورتاسوك) حصل اليروفسور على تسجيل صوتى كامل عنه من ساهر عجوز أو (أتجيكوك) .

كاتت هذه القبيلة تملك فتبشأ خاصاً بها وترقص حوله عندما بيزغ الشفق القطبي . هذا الفتيش كان يشبه في كل شيء هذا التمثال الذي يراه الآن ..

أثارت هذه المعلومات شغف (ليجراس) الذي أمطر البروفسور بالأسئلة . طلب منه أن يتذكر طقوس عبادة هؤلاء الإسكيمو الشيطانيين ثم قارنها بما سجله من طقوس القودوو التي شهدها في لويزياتا . لقد ذهل الرجلان لمدى التطابق بين طقسي تعبد متباعدين في المكان .. هناك جملة تتردد يشكل ولضبح في الطقمين :

كاتت المنطقة التى دخلها رجال الشرطة منطقة محرمة على البيض ، تسود فيها أساطير عن كانن أبيض عملاق كثير الزوائد لــه عينان لامعتان ، وقيل إن الشياطين التي تبدو كالوطاويط تخرج من كهوف في جوف الأرض كي تعبد هذا للكائن في منتصف الليل. وقبل إنه هناك قبل الهنود .. قبل أن توجد وحوش الفابة .. كان

فقط لايقدر على فهم الأصوات التي سمعها ليجراس سوى الجنون أو الشعر .. هناك نغمات تدل على وجود بشر ونغمات تدل على وجود وحوش . وكاتت أغنية مرعبة ترتفع :

هو الكابوس ذاته ، وكان معنى أن تراه أن تموت ، لكنه كان

يرغم الناس على الحلم .

ـ « فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجاتاتج فتاجن .. »

هذا وجد الرجال أنفسهم في البقعة التي جاء منها الصوت .. قر واحد ، وأحدهم فقد وعيه ، وصرخ اثنان من هول ما رأيا ..

وسط الأشجار كاتت جزيرة معشبة وسطها حشد من القوم العراة يرقصون ويتلوون حول نار مشتطة ، في ومنطها نصب عملاق ارتفاعه ثمانية أقدام على قمته ذلك التمثال ، وحول هذا التعثال كانت سقالات علق عليها عشرة من السكان الأصليين الذين اختفوا، وقد تشوهت أجسادهم ورءومسهم الأسفل . ربما

كان صدى الصوت هو ما أوحى للشرطة أن هذاك من يرد على الغناء وسط الأحراش .

روايات مصرية للجيب

تصلب الرجال للعظات ثم جاء الواجب .. ويرغم أنه كان هناك ندو مائة شخص في الاحتفال ، فإن رجال الشرطة أخرجوا أسلحتهم ، ولخمس دقائق كاتت الفوضى عصية على الوصف .

فر كثيرون لكن (ليجراس) استطاع أن يعد 45 أسيرًا أرغمهم على ارتداء ثيابهم والمشى وسط صفين من رجال الشرطة . مات خمسة من المتعدين ورقد الثنان بجراح عميقة . والمتزع (ليجراس) التمثال بعناية ، وأخذه معه .

كان أكثر الرجال زنوجًا أو مهجنين ، وبعضهم كاتو ا برتغالبين من جزر (كبب فيردى) .. قالوا إنهم يعبدون (الأحاد القدامسي) الذين وجدوا قبل أن توجد نحن وجاءوا من السماء . هؤلاء الأحاد قد غابوا تحت البحر ، لكنهم قادرون على إرسال الأحلام لأتباعهم . قالوا إن هذه العبادة موجودة منذ الأزل وسوف تظل كذلك .. إلى أن ينهض الكاهن الأعظم (كتولو) من سياته وسط أطلال مدينة (رئيه) ليحكم الأرض ثاتية .

هنا صمت الرجال .. كان هناك سر لا يستطيع التعذيب نفسه أن رنتزعه منهم ..

لا أحد رأى الآحاد القدامي .. التمثال المنحوث هو (كتولو) لكن من الصعب أن تعرف إن كان الباقون يشبهونه . الأغنية التي يظونها تقول :

- « في بيته في (رليه) ينتظر كتولو المبيت وبحلم .. »

لم يجدوا بين المساجين مسوى النيس عناقلين بمنا يمسمح يشنقهما أما الباقون فقد أرسلوا لمصحات مختلفة . المعلومات الوحيدة ذات القيمة كاتت من رجل نصف هندى نصف أوروبي اسمه (كاسترو) قال إنه سافر لموان بعيدة وتكلم عن هذه الدياتة مع الكهنة في الصبين . حكى عن حقب حكمت فيها تلك الكيانات الأرض وكانت لهيم ميدن عظمى . ويقايا تلك المدن موجودة في بعض جزر المحبط الهادي . هم موتى لكن من الممكن أن يعودوا لمو أن النجوم اتخذت موضعًا

ـ « هؤلاء جاءوا من النجوم .. وجلبوا صورتهم معهم .. »

هم ليسوا من لحم ودم .. لهم أشكال لكنهم غير مكونين من مادة .. كلهم ينتظرون في مدينتهم العظمى (رليمه) باتنظار التعاوية التي سيلقيها كاهنهم (كتولو) ..

هم ينتظرون في الظلام ويحلمون ، فتمر عليهم ملايين السنين الكنهم يعرفون كل ما يدور في الكون لأن طريقة تقاهمهم هي الأفكار . منوف ينتظرون حتى الوقت المناسب قبل أن ينهضوا .. هذا الوقت المناسب تمسهل معرفته لأن البشر سيكونون وقتها مثل الآحاد القدامي، أحرارًا لا بيالون بالخير أو الشر ولسوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف بعلمهم الأحاد القدامي المزيد من ومسائل المتعة حتى تصدير الأرض محرقة من الجنون .

قال إن مركز هذه الدياتة هو في صحراء العرب حيث توجد (إرم) ذات العماد .. وإنه لم يرد ذكر لها في أي كتاب ما عدا كتاب (نيكرونوميكون) الذي كتبه الشباعر المجنون (عبد الله الحظرد).

لهذا لنا أن تتخيل دهشة عمى عندما قابل بعد هـذا شـابًا حساسًا يرى دَات الروى التي وصفها (ليجراس)، واستطاع كذلك أن ينفظ بشكل صحيح ثلاث كلمات من التي نطق بها الإسكيمو.

برغم كل شيء لم أستبعد أن يكون (ويلكوكس) الشاب قد صمع عن تلك الطقوس في مكان ما ، من ثم لختلق قصة هذه الأحلام ليحين عسى . راح يريد النداء الذي كان يسمعه:

- « كتولو أتناجن .. »

وهو جزء من النداء الموجه لكتولو في سباته ، مما جعلني أرجح أن الفتى سمع عن الأسطورة ونساها . لابد أنه صادق وأن تأثيره على عمى لم يأت بقصد .

ظلت فكرة تلك العبادة تحيرنى وتفتتنى ، وقد زرت لويزيانا وقابلت ليجراس ومن بقى حيًا من تلك الغارة القديمة . لقد بدأت لشعر بأتنى على طريق كشف مهم .. كشف سرى .. كشف عميق وقديم .. كشف سيجطنى من علماء الأنثروبولوجي المرموقين .

شىء واحد كنت أخافه هو أن يتضح أن موت عمى ثم يكن طبيعيًا، فقد سقط من فوق منحدر بعد ما دفعه بحار زنجى هجين . تذكرت كلام (نيجراس) عن الدم الهجين في لويزياتا . هل تكون تحريات عمى عن الموضوع قد بنفت آذاتا شريرة ؟ اعتقد أن البروفسور مات لأنه عرف أكثر مما يجب أو لأنه كان في طريقه ليعرف أكثر مما يجب ،

لقد عرفت الكثير وبقى أن أحدد ما إذا كنت سأفكفي خطوات عمى أم لا .

بدائى هذا هو أقرب الاحتمالات للمنطق . وقرأت يعناية وصف (ليجراس) للقصة ، ثم صممت على أن أسافر إلى بروفيدنس لأوجه له التوبيخ الضرورى بمبب خداعه لرجل مسن ومتعلم مثل عمى .

كان ما زال بعيش في (فلير دى ليس) في شارع توماس . و هو مكان بقد بشكل قبيح طراز المباتى الفكتورية في القرن السابع عشر ،

وجدته يعمل في غرفته وأدركت من القطع التي نحتها والمحيطة به أن الفتى موهوب وأصبيل . لقد نحت بالصلصال ويوما منا سيفطها بالرخام تلك الخيالات المفزعة التي خلاها (أرثر ماشن) بالشعر . كان هشأ شاحبًا وقد سألنى عن سبب قدومي فقلت له من أنا . وقد أثار اسمى اهتمامه ، وبعد قليل من الكلام لم يعد عندى شك في صدقه . لقد أثرت تلك الأحلام على أعماله النحتية ، وقد عرض على تمثالاً ذا منحنيات جعلت الأفكار الممود تعمل في رأسى . لا يذكر متى رأى هذا الشكل ولكنه حاول نقشه على الصلصال أولاً وهو يشعر أن هذا هو الشيء الذي كان يراه في أحلامه ،

لم يكن يعرف شيئًا عن تلك الديانة الغامضة ، وكان يتكلم عن احلامه بطريقة شعرية . يصف المدينة ذات النصب العملاقة من الحجر الأخضر ، التي قال إن تصميمها الهندسي خطأ تمامًا .

3 ـ جنون من البحر ...

لو أرادت السماء أن تمنحني هدية ، فلتكن هي نميان الصدفة التي جعلت عيني تقعان على صفحة جريدة . ما كان الأمر ليلفت نظرى في العادة ، لكنه كان عددًا من جريدة أسترالية اسمها (نشرة سيدني) عبد 18 إبريل 1925 .

كنت أزور صديقًا مثقفًا في (باترمدون نيوجيرمسي) ، وهو أمين متعف ومختص بطم المعادن . كنت أتقعص العينات الموضوعة على الأرقف في المتحف حين وجدت صورة غربية في جرودة وضعت تحت الحجارة . وكانت الصورة تظهر نصبًا مغيفا يشيه ذلك الذي وصفه (ليجراس) .

أخرجت الجريدة بحدر وقصصت الخبر ، وكان يقول :

العثور عثي سغينة معجورة في البحر

وصلت السفينة (فيجلان) وهي تجر بخنا نيورُلنديًّا مطلا ، ناج واحد وجِنَّةُ عَنَّى ظَهِرِ البِحْتَ ، قصبةً عن صراع الموت في البحر ، البحار التاجي يرفض بكر التفاصيل وإن وجد صنّم غربيه في حوثته .

وصلت السطونة فيجونان إلى دارلتج هارير وهي تجر الوخت المعطل المدجج بالمملاح (أليرت) كاتت السفينة فيجيلات قد تعرضت بعد إقلاعها لرياح قوية أبعثها عن مسارها ، وفي 12 إبريل شوهد البخت المهجور ، وتبين أن على ظهره رجلا فاقد الوعي وجثة رجل أهر يبدو أن أسبوعًا مر على وقاته . كان الرجل الدي يحمل صنما غريب الشكل اعترفت الجهات العلمية في جامعة سودني وأنها لا تملك فارة عنه ،

لما أَفْتَى الرجل حكى قصة غربية عن القراصنة ، اسمه جوستف بوهلسن ، نرويجي . كن المساعد الثاني على ظهر السيفينة ذات الشراعين (إسا) التي فقعت في 20 فيرنير وعلى ظهرها 11 رجلًا قبل بنهم قابلوا البغب (ألورت) يقوده طاقم غروب شرير الشكل من كتساس ، وقد أصدروا لهم الأمر بالتراجع فرفضوا بدأ الطاقم بطلق الرصياس على بحارة (إب) غرد طاقم السقيمة الكن بحارة اليغت نجعوا في أن يعتلوا السفينة التي أوشكت على الغرق بقعل ما أصليها من مدافع دارت معرىة عنوفة وفي النهاية فكل ثلاثية من بعثرة (إيما) ، لكن الباقين تمكنوا من النجاة بقيادة (يوهالمين) نفسه الذي اضطر اركوب فيفت بعد إسلامه مكتوا في 23 سارس من بلوغ جزيرة بشكل ما ، ثم ملت سنة رجل على الشط . قر يوهاسن ورجل أخر على منهر البخت في 2 إبريل لكن الربح غلبتهم وتقافقتهم ، ومنذ ذلك العين حتى إفاقته لا يذكر الرجل ما حدث له على الإطلاق ..

كمان البحارة يعرفون البخت (أليرت) جودًا بطاقمه الشرير ، كما أن الأدمير الية أطرت يوهانسن وبراعته كثيرًا ، وأعلنت أنها ستحاول إجراء ا تحقیق شامل حول سا عدث ر

انتهى الخبر لكن أية أفكار جلبها لى !.. إن التواريخ أبعد من أن تكون صدقة .. كل هذه الأحداث تدور في ذات الوقت عبر العالم .. وماذا عن عاصفة 2 إبريل ؟.. نفس التاريخ الدي توقفت فيه أحلام الحالمين وأفاق (ويلكوكس) من فيود الحمى ؟..

سافرت إلى سيدنى وأجريت تحقيقات لانفع منها مع البحارة في الأدميرالية ، ورأيت اليفت (ألبيرت) الذي تم إصلاحه ويستخدم في الملاحة التجارية ،

رأيت ذلك التمثال الغريب في متحف التاريخ الطبيعي ، وقال لى أمين المتحف إن الجيولوجيين وجدوا قيه لغزا بلاحل .. فهم متأكدون من أن العالم لا يحوى صحورًا من هذا النوع . تذكرت ما قاله (كاسترو) العجوز للمفتش (ليجراس):

- « هؤلاء جاءوا من النجوم .. وجنبوا صورتهم معهم .. »

قررت أن أقصد أوسلو لأزور (يوهاتسن) مساعد السفينة (إما) .. هكذا أبحرت إلى لندن ثم انطلقت مباشرة إلى النرويج ..

وفي يوم خريف تجهت لبيت الرجل ، وكان في المدينة القديمة للملك (هارولد هاردادا) الذي حفظ للمدينة اسم (أوسلو) برغم أنها كانت تحمل اسم (كريستينا) طيلة الحروب الصليبية .

طرقت الباب فبرزت ني امرأة ذات وجه حزين وثوب أسود . وتصلبت مصعوفًا عندما اخبرتني أن (بوهاتسن) لم يعد على وجه الأرض .

قالت المرأة إنه لم يعش طويلاً بعد عودته لأن أهوال البحر حظمته . كان يعشى على مرفأ جوتنبرج عندما سقطت فوقه حزمتان من الصحف من صندرة بيت .. ساعده بحاران على النهوض لكن قبل أن تبلغه عربة الإسعاف كان قد مات . ثم ير الأطباء سببًا لوفاته وقدروا أن قلبه الضعيف هو السبب .

شعرت بذعر .. هذا الرعب لن يفارقني إلى أن أموت أنا في هادث او بای شکل آخر .

كان الرجل قد ترك لزوجت بعض الأوراق المكتوبة بالإنجليزية ، وقد سمحت لى بأن آخذها معى لأنها لا تهتم لما فيها . هكذا استطعت قراءة الأوراق وأنا على السفينة عائدًا إلى

كاتت مذكرات بحار يصف تفاصيل رحلته . هي ماينة بتفاصيل لا داعى لها لذا سأحاول أن ألخصها لك فقد تفسر لماذا لم أعد أطبق صوت الماء و هو يضرب جانبي السفينة ، حتى إنني سددت أننى بالقطن .

لم يعرف (يوهانسن) كل شيء ، لكتني لا أستطيع النوم يسهولة ثانية وأنا أعرف الأهوال التي نجهل عنها كل شيء . وتلك الكياثات المغيفة التي تعلم تحت البحر ، بينما عند من الأتهاع ينتظرون أية فرصة ليحرروها مع أول هزة أرضية تالية ، كي تتحرر من جديد وتخرج للشمس والهواء .

لقد غلار (يوهانسن) على السفينة (إما) في 20 فيراير . وقد شعر باللوة الكاملة لذلك الزلزال الذي هرك قاع المحيط ذاته . مضت السلينة بعد هذا حتى قابل اليخت (أليرت) في 22 مارس وحدثت تلك المعركة ابتع اليخت وعليه (بوهاسن) ورجاله كما قالت الصحيفة ، إلى أن رأوا عمودًا صخريًا بيرز من للبحر عند خط عرض '9°47 وخط طول '33°43' . هنا وجدوا لنفسهم أسام بقايا المدينة الكابوسية المسماة (رثيه). المدينة التي بنتها منذ زمن سحيق ثلك الكائنات المرعبة التي جاءت من النجوم .

هناك كان (كتولو) وعشيرته يرقدون في قبلب طينية خضراء عملاقة بيعثون بالا توقيف تلك الصور التس صارت أحالم الأشخاص الحساسين ، ويطلبون المخلصين لهم كي يأتوا .

لم ير (يوهانسن) هذا كله لكنه رأى ما يكلى !..

لابد أن الذهول أصابه ورفاقه وخمنوا أن هذا العشهد لايمت بالتفصيل إنما يجر للعلم الحالى . عنما يصف يوهانس المدينة في أوراقه فهو لايصفها عن انطباع عام لصفور عملاقة .. عملاقة بحيث لا تنتمي لشيء يمت لهذا العالم . عليها تقوش مقزعة وكتابة هيروغليفية . علق الرجل كذلك على الزوايا الغريبة للمبلى وهو ينكرني بما قاله (ويلكوكس) عن هندسة هذا المكان وكيف أنها لا تعت للهندسة الإقليدية Euclidean التي نعرفها .

روايات مصرية للجيب

لقد هبط يوهاتسن ورجاله على ضفة موحلة من تلك المدينة وتسلقوا فوق صخور لا يمكن أن تكون درجات سلم تمت لعالمنا الفاتي . كانت الشمس تبدو مشوهة عندما تراها عبر البخار المتصاعد من هذا الهول المبتل . النظرة الثانية تجطك ترى أشكالاً محدبة بعد ما كنت تراها مقعرة .

شعر الرجال برعب هاتل برغم أتهم لم يروا سوى صفور وحجارة . وكان كل منهم موشكًا على القرار لمولا خشيته من سخرية رفاقه .. وكاتوا يفتشون عن شيء قابل لحمله كذكري يحملونها للوطن . كان البرتغالي (رودريجز) هو من تسلق قمة البناء وهنف يناديهم كي يروا ما رآه . هر عوا يرون فرأوا الباب العصلاق وعليه نقش الكاتن الأخطبوطي الذي ألفوه . عرفوا أتـــه ياب من عتبته ومن عارضته الطيا ولكنهم لم يعرفوا هل هو [م 3 - روايات علية عدد (68) مداء كو لو]

بالحمى واتتحر مهندس معروف . لقد نهض الكيان القديم لينال حقه ، وما فشل فيه أتباع هذه الديانة على مدى قرون ، نجمت فيه مجموعة من البحارة التصين صدفة .

قبل أن يقر أحد سقط ثلاثة رجال وقد مستهم الممسات المخيفة ووجد يوهاتسن نفسه محشورا في أحد زوايا البناء .. زاوية بدت لعينة حادة لكنها كانت منقرجة من الداخل .

تحرر وجرى مع صاحبه (بریدن) نحو الیخت ..

لم يستغرق الأمر سوى بضع دقائق كى يتحرك اليفت (أليرت) مبتعدًا عن تلك المياه اللعينة .

لكن كتولو المرعب تقدم نحبو الضغة وانزلق في الماء وراح يسبح نحوهما بضريات ترفع الأمواج بقوة كوثية . ظل (بريدن) يرمق المشهد ويضحك . وظل يضحك ويضحك حتى مات ذات ليلة في القعرة ، أما (يوهاتسن) فبدأ يهذى . لكنه تعاسك لأنه أدرك أن بوسع الشيء المذى سد الطريق أن يلتهم اليخب أدرك أن بوسع الشيء الذا زاد سرعة المحرك ثم جرى على السطح وعكس وضع عجلة القيادة ..

دوى صوت مخيف وتصاعدت الفقاقيع وتزايد البخار الخارج من المحرك . والدفع النرويجي الشجاع نحو كتلة الهلام العملاقة للتي ارتفعت قوق الفقاقيع . بالعرض أم ماثل .. هندسة المكان كلها كاتت خطأ .. لا يمكن أن تعرف إن كاتت الأرض أفقية أم لا ..

تحسس الرجال الباب بحثًا عن طريقة لفتحه ، ثم تسلقوه .. فجأة وببطء شديد بدأت العتبة تنفتح . كان هذا الشيء يدور باتجاه منحرف متحديًا كل قوانين المادة والجاذبية .

كانت الفتحة سوداء خلفها ظلمة توشك أن تلمسها . بالفعل كانت كذلك الأنها أخفت أجزاء داخلية من الباب كان يحب أن تكون مرنية في الواقع خرجت الظلمة من محبسها وأظلمت السماء الأنها حلقت بجناحين غشائيين .

كاتت الرائحة المنبعثة من هذه الفتحة لا تطاق . وأحس (هوكنز) ذو الأنفين الحساستين بأنه يسمع شينًا كريهًا ينزلق تحت . وقف الجميع يصغون .، ظلوا يصغون عندما ظهر الشيء وحشر كيانه الهاتل الجيلانيني الأخضر عبر الفتحة ليخرج إلى هواء المدينة .

هذا تخلت عن (يوهاتسن) قدرته على الكتابة ..

بعتقد أن رجلين من رجاله هنكا بفعل الذعر في هذه اللحظة . لا يمكن وصف الشيء .. لا توجد لغة قادرة على وصف هذا الجنون . هذه هي اللحظة ذاتها التي أصيب فيها (ويلكوكس)

افكرب الرأس المخيف جدًا لكن (يوهانسن) واصل الانفاع تحوه . رائحة عننة كأنه ألف قبر مفتوح .. ضوضاء لا يقدر أحد على تسجيلها على الورق .

وللحظة غاب البخت في سحابة خضراء عفنة الرائحة ، ثم اخترق اليغت الشيء الكريه .. وهنا راح نلك الشيء يلتحم ثقية كأنه غاز سام ..

اكنه كان بينعد .. في كل ثانية كانت المصافة تنزايد بينما البِقت بظفر بمزيد من السرعة .

هذا فقط استطاع يو هاتسن أن ينزل إلى قاع اليخت اليظفر بشيء من طعام له وذلك المجنون الذي لا يكف عن الضحك جواره.

ثم جاءت علصقة الثاني من إيريل قلم يعد يذكر أي شيء .

كأنه كان بيحر في دوامات حول خلجان اللالهتية الذاتية ، ويرحل عبر المجرات متطفًا بنبول الشهب .. وثبات جنونية من القاع إلى القمر ومن القمر للقاع بألنية ..

لا يعرف متى ولا كيف جاءت صفينة (فيجيلات) لتتقذه .

لم يكتب ما رآه ولم يصفه حتى لا يحسبوه مجنونا . فقط قرر أن يكتب لما شعر بقرب موته . الموت مسيكون شيئًا رافعًا لو كان بوسعه محو الذكريات .

هذا هو ما كتبه وقد وضعت الأوراق جوار مذكرات عمى ونلك النقش . نن أقدر على النظر إلى الكون بالطريقة ذاتها ثنية ، وحتى سماء الربيع وشمس الصيف سوف تكون أقرب إلى المنم بالتمنية لي .

لا أحسب حياتي ستكون طويلة ؛ لأننى سأرحل كما رحل عمى قمسكين وكما رحل (يوهقسن) . إن الأتباع أحياء وكذلك كتولو .. لقد عادت مدينته اللعينة للغوص تحت البحر الأن (فيجيلات) عبرت تلك البقعة مرة لخرى فلم تر شيئًا .. لابد أنه فوجئ بأنه يغوص تُتية ، وإلا لكان العالم يصرخ اليوم من الرعب والجنون .

من يعرف النهاية ؟.. ما طفا قد يقوص وما غاص قد يطفو ..

البشاعة تتنظر وتحلم في الأعماق بينما العطب يزحف على معن البشر ، معوف بأتى وقت (كتولو) لكنن لينس بومنعي و لا يجب أن قدر في الأمر .

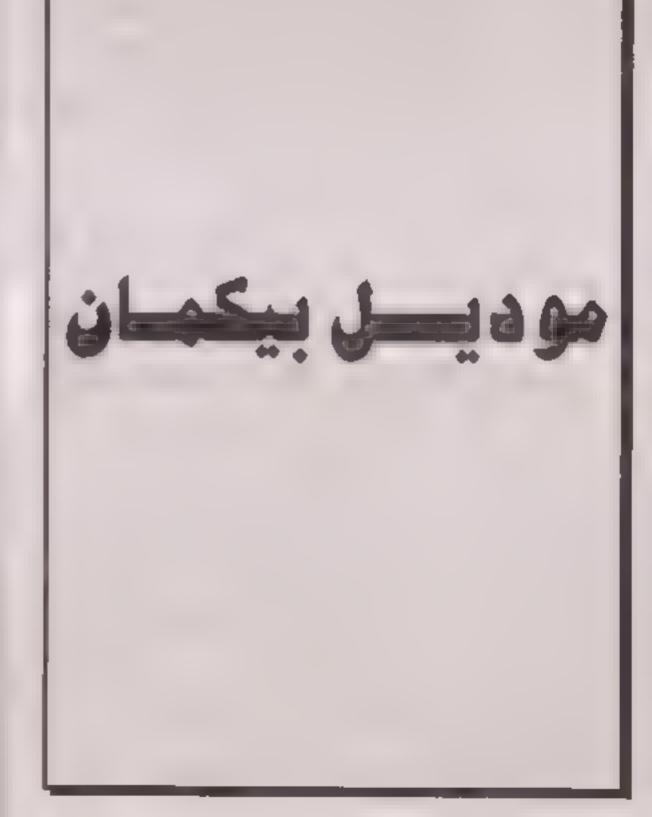
أدعو الله لو لم أعش طويلاً ، أن يتأكد من يعدمونني من أن هذه السطور ان تراها عين بشرية أخرى .

لا حاجة بك لأن تغترض في الجنون يا (إليوت) ، فالكثير ممن سواى لديهم ميول أغرب من هذا . لم لا تسخر من جد (أوليقر) الذي لايركب سيارة أبدًا ؟.. لو كنت لا لحب هذا النفق اللعين فهذا شأتي . لقد وصلنا على كل حال بسرعة راكبين عربة أجرة ، ولو أخننا السيارة لكان علينا أن نتسلق التل من بارك ستريت .

أعرف أننى أكثر عصبية مما كنت عندما رأينتي العام الماضي ، لكن لا يجب أن تطلب رأى الأطباء . هناك سبب قوى وإننى لأحمد الله على أتى ما زلت محتفظا بعقلي بعد هذا كله . لم تركب في الدرجة الثالثة ؟.. لم يكن الفضول من دأبك فيما سبق .

حصن .. لو كان ينبغي أن تعرف القصلة قالا أرى سبباً يمنع ثلك . ربما وجب هذا لأنك تكتب لى كأنك أب قلق منذ عرفت أتنى فاطعت نادى الفنون وقررت الابتعاد عن بيكمان . الأن وقد الحَتْقَى الرجل صرت أتردد على للدى القنون لكن ليس بكثرة الأن أعصابي لم تحد كما كاتت ..

لا .. لا أعرف ما حل بيكمان ولا أريد أن أخمن . لابد أنك حدمت أن لدى أسبابًا دفعتنى للتخلى عنه ، لهذا لا أريد أن أفكر في المكان الذي ذهب له . دع رجال الشرطة بعرفوا ثلث ، فهم لا يعرفون مثلا بالمكان الشمالي في (نورث اند) الذي استأجره بيكمان بلمم (بيترز).



لا أعتقد أننى قادر على العثور عليه ثانية ، دعك من أنى لا أريد ذلك حتى في ضوء النهار ،

أخشى أننى أعرف لماذا أحتفظ بهذا سراً ، ولمسوف آتس لهذه النقطة . سوف تفهم عندما لأنهى لماذا لم أبلغ الشرطة . لا أستطبع العودة هناك حتى لو كنت أعرف الطريق . لم أعد قادراً على اجتياز الأنفاق أو النزول لأى قبو وأعرف أن هذا يثير ضحكك .

أنا أعرف أن بيكمان كان موهوبا وعبقريًا لهذا أقبل أى أتجاه بتخذه في عمله ، ورأيي أن بوسطن لم تعرف فناقا أفضل من (ريتشارد أبتون بيكمان) . لم يتفير رأيي لحظة حتى عندما رأيت لوحة (غول يأكل) التي جعت (مينوت) يقاطعه .

كما تعرف بحتاج المرء لموهبة عظيمة كى بخرج أعمالاً كلتى بقدمها بيكمان . كل رسلم لأغلقة المجلات بمكن أن ينثر بعض الألوان ويسميها (ليلة السغبات) أو (كابوس) لكنك تحتاج لقنان حقيقى كى تقدم لوحة مرعبة عن موضوع كهذا؛ فالفنان الحقيقى هو من بعرف تشريح الخوف أو فسيولوجية الهلع . بعرف خلطة الظلال والخطوط والإضاءة التى تثير نلك الإحساس النائم فينا بالغرابة . لهذا تبعث لوحات (فيوسيلى Fuseli)" القشعريرة فيك . كذلك (أنجارولا ويرسمونه ؟ . لكن دعنا نشرب ونتكلم عن شيء آخر ..

تعرف أن نقطة قوة بيكمان كاتت الوجدوه .. منذ عصر (جويا Goya) لم أر فنانا رمام الجحيم ذاته على الوجوه .. قبل (جويا) عليك أن تبحث عن أناني القرون الوسطى الذيان تحتوا الكراجل Gargoyles على كنيسة النوتردام . نقد صدقوا أشياء كثيرة وريما رأوا أشياء كثيرة كذلك ..

أثت سألت بيكمان عن مصدر رسومه فضحك .. تلك الضحكة الكريهة التى لقزعت (ريد) وجعلته يقاطع بيكمان . ريد كان مولفا بدراسة علم الأمراض ، وقد قال لنا إن بيكمان بثير نفوره بل ورعبه . قال إن ملامحه تتغير يومًا بعد يـوم حتى إنه ليبدو لحيانًا غير أدمى .

لكن تذكر ألى لم أتخل عن بيكمان لسبب كهذا ، بل ازداد إعجابى به ، لأن لوحة (غول بأكل) كانت مذهلة . لم يقبل النادى عرضها كما لم يقبلها متحف الفنون الرفيعة كهدية . لم يشترها أحد فظلت في بيت بيكمان . هي الآن في بيت أبيه في رسالم) .. تعرف أن بيكمان من (مالم) وله جد شنق هناك بتهمة المحر علم 1692 .

لقد رئیت لوحاته فانبهرت بها ، ولم یمر وقت طویل حتی صرت من المخلصین له . بدأ یثی فی أكثر فأكثر ، فلمَح لی ذات لیلة أننی لو أغلقت فمی وتمامكت ، فهو سوف برینی شیئا غیر معتلا .. شیئا یقوق كل ما رأیته حتی هذه اللحظة .

قال لى في حماس :

^(*) فَنْنَ بِرِيطَاتَى مَوْيِسَرَى البوك تَحْمَسَ فَي رَسَمَ الرَّعِبِ وَهُوَ صَلَحَبِ لُوحَةً (الْجَاتُوم) الشَّهِيْرَةَ ..

- « المزية الوحيدة للحاضر هي أنه غبي بحيث لا يفكر كثيرًا في الماضي . بم تخبرك الخراقط و أملة السياح ؟ . . لا شيء . . يمكنني أن أريك أرقة وممرات لا يشك في وجودها أحد من الأحياء .. وما من أحد يمكنه الانتفاع من هذه المعرفة .. لا .. هناك واحد يمكنه الانتفاع، فأتا لم أجر هذا التنقيب بلا مقابل.

- « هل تعرف يا (ثيريبر) أن لدى مرسمًا آخر هناك ، حيث يكون بوسعى أن أرسم الكوابيس مباشرة ؟.. بالطبع لا أخير بهذا أحدًا من هؤلاء العجزة في النادي ، و (ريد) اللعين يهمس في كل مكان أتنى وحش يهوى الأسفل في منحدر الارتقاء . لقد أزمعت منذ زمن أن أرسم الرعب كما نرسم الحياة من الحياة ذاتها .. لذا بحثت حبث يوجد الرعب ..

- « أعرف مكاتًا أشك في أن ثلاثة رجال أحياء يعرفون عنه أى شيء .. إن عمره قرون ، وقد استأجرته من أجل بنر من القرميد في القبو .. هذا الكوخ يتهاوى لذا لم يعد أحد يعيش هناك وأكره أن أخبرك بضألة المبلغ الذي أدفعه . أرسم في القبو حيث الإلهام الكثيف لكنى استأجرت غرفًا أخرى في الطبابق الأرضى ، وقد استخدمت اسمًا مستعارًا هو (بيتر) .

- « لو أردت سأخذك هناك النيلة .. سوف تحب الرسوم .. أنا أذهب هناك على القدمين الأنتى لا أريد نفت الأنظار بسيارة

ـ « هل تعرف أنه كانت هناك طاحونة على تلة (كوب) عمام 1632 ؟.. هل تعرف أن نصف الشوارع في (نورث الله) خططت عام 1650 ؟.. بمكنني أن أريك بيوتا صمدت قرنين أو أكثر .. ما الذي يعرفه المعاصرون عن الحياة والقوى الكامنة خلفها ؟.. ماذا تعرف عن سحرة (سائم) ؟.. جدى كان بوسعه أن يخبرك بالكثير، فقد شنق بينما (ماثر) اللعين "براقب المشهد الآمه كان مذعورًا من أن يحدث شيء يغير إيفاع الحياة الرئيب .. ألا لعنة الله عليه !. ليت أحدهم امتص دمه ليلا ..

« يمكننى أن أريك البيت الذي عاش فيه ، كما يمكنني أن أريك بيوتا كان يخشى أن يدخلها برغم ادعائه الشجاعة .. كأن يعرف أشياء .. هل تعرف أن (نورث الد) كان يجوى تُفاقا تصل بيوت الناس ببعضها وتصلهم بالمقبرة والبحر ؟.. كاتوا يسمعون أصوات لا يعرفون مصدرها طيلة النيل .. يمكنني أن أربك شينا غربينا في قبو تمانية بيوت من كل عشرة من البيوت التي بنيت قبل عام 1700 . كانت هناك سلمرات مع كل ما تستدعيه طقوسهن السمرية .. كان هذاك قراصتة مع كل ما جنبوه من البحر .. مهربون .. الناس كاتوا يعرفون كيف يعيشون في تلك الأرمشة !.. قارن بين هؤلاء وعقول البوم الوردية المترهلة التي تهز أكتافها في استنكار لورأت لوحة يخرج موضوعها عن منضدة شاي!

^(*) كوتان ماثر Mather شخصية أمريكية جقيقية شهيرة جدًا تقصيص في محكمة الساهرات وإعدامهن وله عدة كتب عن السحر .

لجرة في مكان كهذا . سوف نستقل عربة من (ماوث مشيشن) قاصدين باترى ستريت ، ومن هناك لن تكون المعنافة بعيدة . »

حسن يا إليوت لم يكن هناك الكثير مما أفعله بعد هذه الخطبة البليقة ، سوى أن أمنع نفسى من القرار بدلا من ركوب أول عربة أجرة وجدناها . سرعان ما وصلنا تشارع باترى ومشينا جوار الميناء القديم . لا أنكر الشوارع بدقة ولا أنكر أية تقاطعات اتخنناها لكنه لم يكن زقاق (جريناف) على كل هال .

كان علينا أن نرتقى أقدم وأقذر زقاق رأيته في حياتي ، بنوافذ صغيرة مهشمة ومداخن شبه بالبة تقف متهالكة أمام السماء التي ينير ها القمر . لا أعتقد أن هناك أي بيت لم يكن موجودًا في عصر (كوتن ماثر).

من هذا الزقاق دلفتا إلى البسار حيث زقاق مماثل صامت وضيق بلا ضوء على الإطلاق . ثم كان يتحرف بزاوية منفرجة إلى البعين . أخرج مصياحًا سلطه على باب متهالك بعود لعصر الطوفان . ثم دخلنا إلى ممر بيطنه خشب البلوط .. يسبط لكنه يوحى لك فعلا يعصور السحر الأولى . أخيرًا أوقد مصياحًا من الزيت وطلب منى أن آخذ راحتى .

حسن يا إليوت .. أما رجل شديد المراس كما يقونون لكن أعترف أن ما رأيته على جدران هذه الغرفة قد أفرعني . إنها لوحقه قتى لم يكن يجسر على عرضها في شارع (نبويبري) .. كان محقًّا عندما قال إنه لُخذ راحته .. خذ كأساً فأنا بحاجة لواحد !

لا جنوى من أن أصفها لك لأن الرعب الشنبع الكافر والبشاعة المستعصية على التصديق بأتيان من لمسات تفوق قدرة الكلمات على التصنيف . لم تكن هناك تعقيدات ولا خلقيات متحلقة . الخلفيات كاثت ساحات كناتس قديمة وغابات وصخورا على البحر وأنفاقًا .. مقبرة هضبة (كوب) القربية من هذا الموضع.

الرعب المعقيقي كان يأتي من الأشكال الأمامية في الصور لأن براعته الأساسية كاتت في البورتريهات الشيطانية . لم تكنن وجوه بشر بالضبط .. كانت كاننات تمشى على قدمين ومنحنية للأمام ولها طابع عام كليى . كل هذه الكائنات كاتت تأكل .. لا تميانتي تأكل ماذا ..

كاتوا يظهرون كمجموعات في المقابر وتحبت الأرض أو متصارعين على الفرائس .. أحياتنا تراهيم يثبون من ثوافية مفتوحة ليلا، أو يقعون على صدور النيام .. هناك لوحة تظهرهم يلتفون حول ساحرة مشنوقة وجهها يشبه وجوههم .

هناك رسم أثار ذعرى بالذات وهو مجموعة من المسوخ تحيط بأحدها في قبو تحت الأرض ، وهو يمسك بدليل سياحي ليوسطن في يده ويقرأ بصوت عال . كانوا يضحكون بوحشية حتى إثنى كدت أسمع ضحكاتهم .

كنت أشعر بقرع من بيكمان ، فلابد أن الرجل تجرد من كل عطف أو حب للبشر حتى يروق له أن يرسم كل هذا التعليب والرعب . ثم إننى كنت خانفا من روعة الأعمال .. هذه ليست رسومًا تمثل الشياطين بل هي الشياطين ذاتها .. والغريب أن الرجل لم يستخدم أساليب الغموض والإيصاء بل كان كل شيء واضحًا محددًا . لم يحاول أن يرينًا ضبابية الأحدم بل جعل كل شيء واقعيًا نقيقا ..

شيء واحد كان مؤكدًا .. بيكمان كان بكل معنى الكلمة واقعيًّا دقيقًا علميًا ..

كان الأن يقتادني لمرسمه ذاته وقد هبطنا لأسفل الدرجات الرطبة . أشار بالكشاف إلى فتحة في الأرض وقال لي إن هذه تقود إلى ما كان يحكى عنه .. شبكة الألفاق تحت الأرض .

نظرت للبنر ورحت أفكر في الأهوال التبي قد كاتت تحويها ، وارتجفت . إنها حية !.. صدقتسي فنست صبيًّا في الثالثة . هذا الساحر الملعون قد أيقظ الشبياطين على القصاش وفرشاته كاتت عصا سحرية . تاولني هذا الإناء يا إليوت 1

كالت هناك لوحة اسمها (الدرس) - فليرحمني الله !.. تصور مجموعة من هذه الكانفات الكنبية تحيط بطفل ليلا وتطمه كيف يأكل مثنها !. . هنا بدأت أفهم . هناك ارتباط بين وجوه الأطفال ووجوه هذه الكانسات الكلبية . لقد رسم بيكمان حلقة الوصل .. هذه الكانب كانت بشرا قبل هذا !

استبدال الاطفال . هل تذكر الأسطورة التي تقول إن الأشرار يسرقون الأطفال الرضع ويضعون بذرتهم مكاتهم في المهد ؟..

ثم إنه حمل المصباح واقتادني إلى غرفة أخرى ، وقد سره الفزع الذي بدأ يظهر على . في الغرفة الثانية كاتت لوحات أكثر إرعابًا ... هذاك لوحمة تظهر مجموعة من تلك الكائنات تسللت عبر مقبرة تحت الأرض إلى نفق (سابيلون ستريت) لتهاجم الناس الواقفين على الرصيف باتنظار المترو . هناك عدة لوحات لكاننات من هذه وقد تسللت إلى قبو ، وهي تنتظر في ركن مظلم أولنك الذين سينزلون الدرجات إلى ذلك القبو .

كانت الغرقة مضاءة بمصياح من غاز الأسيتيلين ، وكانت اللوحات التي لم تنته بعد معلقة على الجدار مرعبة كمثيلاتها المكتملات . كانت مرسومة بعناية رهيبة .. الرجل كان عظيمًا وأنا أقولها من جديد . فقط الحظت كاميرا كبيرة على المنضدة فأخبرني أنه يصور بها الخلفيات التي يتخذها لرسومه .

ثم أزاح السنار عن لوحة جعنني أطلق صرخة رعب .. الصرخة الثانية لي هذه الليلة ، فقد كانت تظهر كياتًا جبارًا لا اسم له ، وله عبنان حمر او ان تلمعان ، وكان يمسك بيد مخلبية بقايا رجل وهو يقضم رأسه كما يقضم الطفل قطعة حلوى . كان يجلس القرفصاء لكن كنما أمعنت النظر شعرت بأته سوف يتخلى عن فريسته بحثًا عن فريسة أكثر بسامة . لكن لم تكن بشاعته ولا التفاصيل هي ما سبب ذعرى .. ثم تكن هي بالشيء الذي بدفع رجلاً مذعوراً للجنون .

كانت النقلية .. التقلية غير الطبيعية يا إليوت .. لم أر في حياتي قط الحياة ذاتها وقد ذابت على قماش الرسم . المسخ كان هناك وكان يمضغ ويمضغ .. أعرف أن قواتين الطبيعة تجعل من المستحيل أن يرسم إنسان شيئًا كهذا من دون موديل . من دون لمحة لعالم سفلى لم يظفر بها أي يشرى لم يبع نفسه للشيطان.

كاتت هناك قطعة ورقية مثبتة بديوس ضغط لجزء خال من القماش ، وكانت مجعدة .. خطر لمي أنها صبورة فوتوغرافيمة للخلفية التي رسم بيكمان اللوحة عليها . معدت يدى لها فتصلب بيكمان كأنه ضرب بالرصاص . كان يصغى الأصداء صرختى ، لكنه الآن التفض تحت تأثير رعب جارف وأخرج مسدسا وأمرنى بالصمت ، ثم خرج إلى القبو الرئيس وأغلق الباب خلقه .

أحسبني أصبت بالشلل للحظة . جربت أن أصغى مثله فسيمعت صوت شيء بنسل في مكان ما مع صرخات حادة لم أعرف اتجاهها . ثم جاءت قرعات جطت جلدى بصبر جلد إورة .. قعقعة مختلسة لا أعرف كيف أعبر عنها .. كأنها خشب ثقيل سِعَط على حجر ، خشب على حجر .. ملاا جعلني هذا أقكر قيه ؟

عاد الصوت أعلى .. ثم دوت ضوضاء وصراخ مختلط من بيكمان .. ثم الصوت الذي يصم الآذان لمدوى الرصاصات الست من مسسه . كان يطلق كأنه مروض أسود يطلق الرصاص في الهواء للتخويف.

من جدید الدوی .. ثم صوت باب یقتح ..

ظهر بيكمان على الباب والدخان يخرج من فوهة مسسمه و هو يشتم الفنران التي تعمر الجدران العنيقة .

- « لا أعرف ما تأكله الفنران يا ثيرير .. هذه الأنفاق تصل للمقبرة وعرين الساحرات .. لكن صراحك أرعبها ، ولكن كن حذرًا في هذه الأماكن العنبقة .. برغم أتنى أعتقد أن هذه الفنران مهمة لعملى من حيث الجو واللون ..

ـ « كانت هذه يا إليوت نهاية مقامرة الليل . لقد وعد بأن يرينى المكان وقد فعل ذلك ..

اقتادنی عبر شبکة المرات فی اتجاه آخر لأنا حین خرجنا کنا فی شارع نصف مالوف تحیط به بیوت عتیقة . هذا شارع (تشارتر) لکننی کنت مرتبکا فلم أدر متی بلغناه . عدنا للمدینة عبر شارع (هانوفر) وترکنی بیکمان عند رکن (جوی) ولم اتکلم معه ثانیة بعد ذلك ..

لم تخليت عنه ؟.. لا تفقد صبرك .. التظر حتى أطلب القهوة ..

لم تكن الرسوم هى السبب .. برغم أنها كانت كافية لجعله منبوذا فى تسعة أعشار ببوت بوسطن .. أعتقد أنك تفهم الأن لماذا أكره الأنفاق والأقبية .. كان هذا شيئًا وجدئه فى جيبى فى الصباح التالى . الورقة المجعدة التى وجدتها على قماش اللوحة فى القبو . الورقة التى بيدو أننى دسستها لا شعوريًا فى جيبى .. هذه هى القهوة .. خذها سوداء بلا سكر يا إليوت .. صدقتى ..

هذه الورقة هي سبب مقاطعتي لبيكمان أعظم فنان عرفته . أشر كيان عبر من حدود الحياة إلى حفر الأسطورة والجنون . ريد كان على حق .. لابد أن بيكمان وجد طريقة يفتح بها البوابة المحرمة . لا فارق لأنه عاد إلى الظلمات التي يحبها ..

فلنشعل الشمعدان ..

لانسائنی عن الشیء الذی أحرقته .. لا تسائنی عن سبب هذه الأصوات التی زعم بیکمان أنها قنران . هناك أسرار تعود لماضی (سالم) وقد حكی (ماثر) عن الكثیر . كنا نتساءل عن تلك الوجوه التی رسمها بیکمان فی لوحاته .

لم تكن تلك الورقة صورة تستعمل كخلفية للمشهد ، بل كاتت تظهر ذلك المسخ الشيطاني الذي رسمه على القماش .. كان هذا هو الموديل الدي استعمله وكانت خلفية الصورة هي المرسم الذي كنت فيه ..

لقد كانت صورة فوتوغرافية حقيقية يا إليوت!

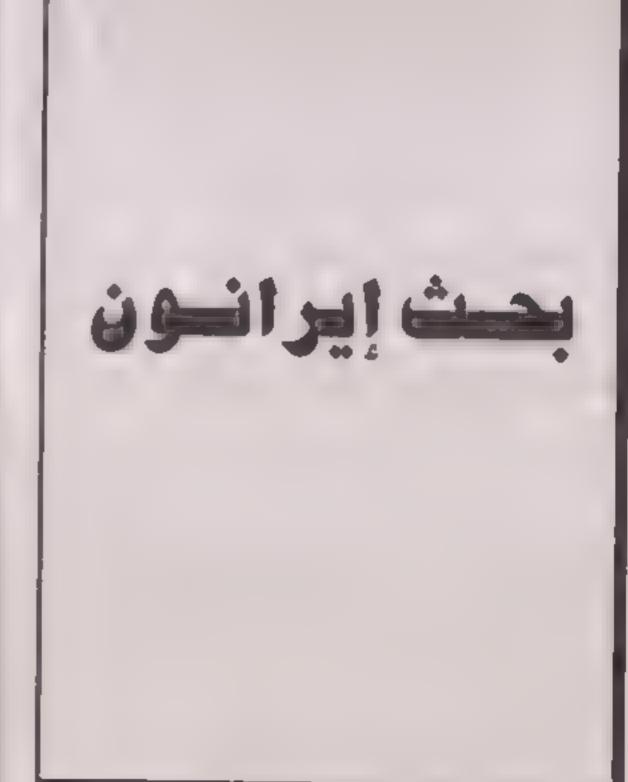
في مدينة (تيلوث) الجراتيتية يمشي الشماب وقد توج رأسه بالكرام ، وشعره الأصفر بلتمع بنيات المر ، وقد تعزق رداؤه الأرجوالي من أشواك نسات (السيدراك) المزروع عبر الجسر الحجرى العتيل . رجال (تيلوث) عليسون سمر البشرة بعيشون في بيوت مكعبة ، وقد سنُّلوا القريب من أبِن جاء وما اسمه ووجهته ، فأجاب الشاب :

روايات مصرية للجيب

- « قَا (إير قون) .. جنت من (إيرا) وهي مدينة نائية أتذكرها بصعوبة لكنني أريد أن أجدها ثانية . أنا أغنى الأغاني النبي تطمتها في المدينة البعيدة .. ثروتي هي الذكريات والأحلام التي أغنى لها في الحدائق ، حين بكون القمر حانبًا وريح الشمال تداعب براعم للنوتس ..

- « عندما معمع رجال (تيلوث) هذا تهامموا ؛ لأن أهل المدينة صارمون لا يضحكون ولا يقنون ، لكنهم أحياتا ينظرون لجبال (كارشا) في الربيع ويفكرون في معازف (أووناي) التي حكى عنها المسافرون . هكذا مسحوا للغريب بالبقاء والغناء أمام يرج (ملين) برغم أنهم لم يحبوا لون ثيابه ولا الشياب في صوته الذهبي .

في المساء كان (إيرانون) يعنى .. فقال رجل كفيف إنه رأى هالة فوق رأس المغنى . لكن معظم قوم (تيلوث) تثاءبوا وبعضهم نام انن اير قون لم يقل شيئًا مهمًا سوى الغناء لذكرياته وأحلامه .



ـ « إيرا .. يا مدينة الرخام والفيروز .. ما أكثر معاسنك !.. لكم أحبيت الأيك في (نيثرا) وشلالات (كرا) التي تجري عبر الوادى الأخضر 1.. في تلك الرياض كان الصبية يصنعون الأكلليل البعضهم ، وعند العسق حلمت بحلم غريب تحت شجرة (إلياث) عندما رأيت تحتى أضواء المدينة ، و (نشرا) يتلبوي ليعكس شريطًا من النجوم ..

- « في العديثة كات قصور من الرخام لها قباب ذهبية وجدران منقوشة وحدائق خضر ونوافير بلورية . كم نمت وحلمت بين الأرهار الشاحبة تحت الأشجار، وأحياتًا كنت أتسلق إلى القلعة وأنظر إلى إيرا تحتى .. مدينة الرخام والفيروز السحرية في توب من اللهب الذهبي ..

- « لكم أَفْتَقْتُكُ بِا إِيرا ..!.. كنت صغيرًا عندما دُهِبنا إلى المنفى ، لكن أبى كان ملكك ولسوف أعود لك ثانية .. بحثت عنك في سبع أراضين ويوما ما سلحكم رياضك وحداثقك وشوارعك وقصورك .. ولسوف أغنى للرجال الذبين يعرفون عن أى شسيء أغنس .. أنَّــا إيراتون أميرا إيرا ..

- « في هذه النيلة جعله الرجال ببيت في الإسطيل ، وفي الصباح جاءه الحاكم وقال له إن عليه أن يذهب لازوك الإسكافي ليعمل

- « لَكُنْتَى أَبِرِ النَّونَ المُغْنَى .. لا أَجِيدِ مَهْنَةُ الإسكافي .. »

- « الكل في تيلوث يكدح .. هذا هو القانون .. »

قال إيرانون:

- « ولماذا يجب أن تكنحوا ؟.. ألا يمكنكم أن تعيشوا حياة سعيدة ؟.. تكدحون لتحيوا لكن أليست الحياة هي الجمال والغناء ؟.. متى تجنون ثمار كدحكم ؟.. الكد بلا أغان كرحلة طويلة بـلا نهاية .. أنيس الموت أكثر مسرة ؟.. »

لكن الحاكم كان متجهمًا ولم يقهم ما قيل.

- « أنت شاب غريب وأنا لا أحب صوتك و لا شكلك .. ما تقوله كفر لأن ألهة تيلوث قالت إن الكد طيب .. اذهب إلى (أزوك) الإسكافي أو غادر المدينة قبل الغروب .. .

هكذا مشى الفتى بين البيوت الحجرية الكنيبة يتمنى لو رأى شيئا واحدًا أخضر .. تم ير سوى العبوس ، لكنه جوار نهر (زورو) الراكد رأى صبيًا يتأمل الماء بعينين حزينتين ، وقال له :

ـ « هل أنت ذلك الذي رتحدث عنه الحكام ويقولون إنه بيحث عن مدينة خيالية نائية ؟ . . أنا (رومنود) الذي ولد هنا لكنه لا يحمن التعامل . أحن إلى رياض دافنة وأغان وجمال . خلف جبال (كارثيا) هناك مدينة (أووناي) التي حكى عنها المسافرون . ذات ليلة عندما تكتمل القدر ، وصل المساقران إلى حافة صخرية تطل على قُولر أووناي التي لا تحد ولا تحصى . قال لهما القلاحون إنهما قريبان ، وعرف إيرانون أن هذه ليست مدينته . كانت الأموار هنا حادة بينما في مدينته كانت الأضواء ناعمة كضوء القمر إذ تسرب من النافذة بينما أمه تغنى له وهو طفل . أووناي كانت مدينة معازف ورقص لذا لتحدر إيرانون ورومنود بحثا عن أناس يجلب لهم الغناء والأحسلام بعض السعادة . لكنهما وجدا في المدينة أَمُاسًا يعربدون بين بيت وبيت ويطلبون من النوافذ والشرفات. وقد وضعوا أكاتيل الورود ، وكلهم يصغون لغناء إيرانون ويقنفونه بالورود .. هكذا شعر الرجل بأنه وجد أولنك الذين يفكرون ويشعرون

عندما بزغ الفجر نظر إيراتون هوله في حسرة ؛ لأن قياب أووناى لم تكن ذهبية في الشمس ، ورجال أووناي كانوا شاحبين من العربدة أثقلت الخمر عقولهم ، فمنم يكونوا كرجال إبرانون . لكنهم أحبوا غناءه لذا قرر أن بيقى معهم .

راح بنتى فى القصور على منصة بنورية فوق أرض من للمرايا ، ومنحه الملك عياءة أرجوانية محلاة بالذهب وأساور من العاج وأسكنه في غرفة مذهبة على قراش من الخشب المنقوش ، له سقف من الحرير الموشى بالزهور .. هكذا عاش إيراتون في أووناي مدينة المعازف والرقص ..

يقولون إنها جميلة ورهبية .. تعال نغادر (تيلوث) معًا ونقصد تلك المدينة . وسوف أصغى الأغانيك البلا عدما تجلب النجوم الأحلام إلى الحالمين . ربما كاتت تلك المعينة هي (إيرا) التي تبحث عنها . سوف يرحب بنا الناس هناك وان يسخروا منا .. >

فَالَ إِبْرِاتُونُ :

۔ « أنا كنت أغنى في صباي لكن لم يصغ لي أحد .. كان الرجال يسخرون منى ويطردوننى .. جربت كل مكان لكنى أعرف أتنى إن ألقى الترحاب إلا في إيرا .. مدينة الرخام والفيروز التي هكمها أبي يومًا .. سنبحث عن إيرا برغم أننا قد نجدها في أووناي ، وإن كنت أشك في هذا لأن جمال إيرا خاري لا يمكن أن تصفه من دون أن تتبهر ، بينما عن أووناي يتهلمس راكبو الجمال في حذر .. ه

عند الغروب لنطلق إيرانون ورومنود ببين التلال الخضر والغابات الباردة . وكان الطريق وعرًا عامضًا فلم يشعرا قط أنهما الكربا من أووناى مدينة المعازف والرقص . وعند الغسق كان إير قون يغنى لمغانى مدينة (إيرا) بينما الصبى يصغى ، وأكلا الكثير من الفلكهة والغراولة ولم يشعرا بمرور الوقت لكن لابد أن زمنا طويلا مضى . لم يعد رومنود الصفير صغيرًا وإن ظل إيرانون كما كان .. ثم جاءت اللحظة التي بدا أيها أن رونمود أكبر سنا من إيراتون ، يرغم أنه كان صبيبًا صغيرًا عندما جلس يتأمل الماء في نهر زورو الراكد .

سمع الراعى هذا فنظر بدهشة لإيرائون كأنه يتذكر شيئا ثم هر رأسه وقال:

- « أيها الغريب .. أنا قد سمعت اسم إيرا والأسماء الأخرى التي ذكرتها ، لكنها تأتيني عبر ذكريات قصية .. سمعتها في شبابي من شفتي صديق لعب .. ابن متسول اعتاد أن يؤلف قصصنا خرافية عن القمر وحكايات الأرض الغربية . كان يحسب تقسم ابن الملك برغم أثنا كنا تعرفه منذ ولد .. كان وسومًا لكنه ملىء بالحماقة والغرابة . وقد هرب في صباتنا كي يجد من يصغون لقصصه واحلامه . كبان يحكس عن أرض لم تكن و لا يمكن أن تكون ! . . كان يحكى عن إيرا ونهر كرا . كان يحكى أته عاش هناك كأمير برغم أتنا عرفناه منذ ولد ولم تكن هناك قط مدينة اسمها إيرا .. لا وجود لها إلا في أحلام صديق طغونتي اير لتون .. »

وفي ضوء الشفق إذ ظهرت النجوم واحدة تلو أخرى ، مشى نحو الرمال المتحركة رجل مسن يلبس ثيابًا رثة أرجواتية ، وعلى رأسه تاج من أوراق الكرم ، وهو ينظر أمامه كأتما يتأمل قباب إبرا الذهبية ، حيث يفهمون الأحلام . في تلك الليلة شهد العالم القديم مصرع الجمال والشياب.

لا تعرف كم مكت إيراتون في أووناي ، لكن ذات يوم جاء العلك براقصين متوحشين من صحراء ليرانيان ، وعازف تاى داكن للبشرة من درينن في الشرق ، ومن ثم كف القوم عن القاء أز هارهم على إيرانون وراحوا يلقونها على الراقصين وعازف الناي .

القتى رومنود كبر أكثر فأكثر واحمر وجهه من فرط شرب الخمر ، وصار يعلم أقل فأقل ، ولم يعد بهتم كثيرًا بعناء إيرانون . وذات لينة كان الفتى الذى ازداد سمنة يلتهم طعام مأدبة عندما راح يشهق وببحث عن الهواء ، ثم مات مختنف جوار إيرانون الذي كان بغني في حزن .

بعد ما بكي إيرانون جوار قبر رومنود ، ألقى عليه أغصان الأشجار التي كان يحبها ، ثم نزع ثيابه التي منحها له الملك وغادر مدينة أووناى .. مدينة المعازف والرقص ..

في ضوء الغروب مضى إيراتون بيحث عن مدينته ورجال يقهمون أغانيه وأحلامه . ظل شابًا للأبد وهو يغنى لإيرا بهجة الماضي وحلم الغد .

ذات ليلة بلغ كوخًا عَنيقًا لراع يحرس قطيعًا ، على منحدر صدرى يطل على مستنقع رمال متحركة . قال له إيرانون :

- « هلا أخبرتني عن مكان إيرا .. مدينة الرخام والفيروز .. حيث يجرى نثرا وحيث تغنى شلالات نهر كرا للوديان الخضر ؟.. » لقد قمت بفحص خرائط المدينة يعاية عظيمة ، لكنى ام أجد شارع (دوميه) ثانية . لم تكن الخرائط حديثة فحمب الأنى أعرف أن الأسماء تتغير . لقد بحثت في كل التاريخ القديم للمكان وبحثت في كل التاريخ القديم للمكان المحرجة هي كل يقعة عن هذا الشارع . يرغم هذا تظل الحقيقة المحرجة هي أنني غير قادر على إيجاد البيت والا الشارع الذي مسمعت فيه في الأشهر الأخيرة مسن حياتي الفقيرة كدارس ميتافيزيقا بالجامعة موسيقا (إريك زان) .

كون ذاكرتى محطمة فهذا شيء لا يدهشتى .. إن صحتى العقلية والجسدية قد تسأنت كثيرًا أثنياء إقبامتى في شهارع (دوسبه) . لكنى ما زلت مرتبكًا لأننى نسبت المكان الذى لم يكن ببعد عن الجامعة أكثر من نصف ساعة من المشى وكان مميزًا .. لكنى لم ألق قط من رأى شارع (دوميه) .

يقع الشارع عبر نهر أسود المياه تحبط به مستودعات بنبت من قرميد ، ويعبره جمس من الحجر الأسود . كان النهر أسود دالما كأن دخان المصافع القربية يحجب عنه الشمس للأبد . وكانت مياه النهر خبيثة الرائحة وأنا أعتمد على هذه الرائحة في العثور عليه يومًا ما . لُخيرًا تصل لممر مبلط بحجر الإسكافي يقودك إلى شارع (دوميه) ،

موسيقا إريك زان

عنق هؤلاء للقوم فى ذاكرتى بسبب تقدمهم الواضح فى السن . لا أعرف لماذا عشت فى هذا الشارع لكنها كاتت فترة قاسية فى حياتى تنقلت فيها بين عدة مساكن بسب إفلاسى . حتى وصلت إلى هذا المسكن الذى يملكه (بلادو) المشلول . كان شائث بيت من بداية الشارع وأعلى البنابات هناك .

غرفتى كانت فى الطابق الفامس وكانت الوحيدة المسكونة لأن البناية كانت خالية . ليلة وصولى سمعت موميقا من العلية فوقى وسأنت عنها (بلادو) العجوز فى اليوم التالى . قال لى إن العازف هو ألمانى أخرس يعزف الكمان يوقع باسم (إريك زان) .. قال لى إن هواية (زان) فى العزف بعد عودته من الأوركسترا ليلاً هى سبب اختيار هذه الغرفة له .

رحت أسمع زان كل ليلة ، ويرغم أنه كان يمنعنى من النوم ، فإن غرابة موسيقاه أبهرتنى .. لم تكن تمت يصلة لأية موسيقا سمعتها من قبل . قررت أنه عازف شديد الأصالة .. كلما أصغيت انبهرت وبعد أسبوع قررت أن أتعرف به .

ذات ليلة كان عائدًا من العمل فاستوقفته وقلت له إننى أريد أن أعرفه وأكون معه وهو يعزف . كان رجلاً صغير الحجم متواضع الثياب أزرق العينين له وجه غريب ورأس أصلع . وبدا كأنه الدهش وغضب لكلماتي . في النهاية تراجع أمام مودتي

الواضعة . وأشار لى أن أتبعه إلى العلية . كاتت غرفته فى الجهة الغربية المطلة على الشارع ، وكاتت غرفته واسعة جدًا . . بدت كذلك بسبب خلوها من الأثاث . سرير معدنى وحوض غسيل وثلاثة مقاعد ومكتبة عملاقة . كان الغبار وخيوط العنكبوت فى كل مكان مما جعل المكان بيدو غير مسكون . من الواضح أن عالم الجمال الذى يراه موجود فى خياله فقط .

أغلق الباب وأشعل شمعة وأخرج الكمان من علبته المتآكلة وجلس على مقعد غير مريح . لم ينظر ننوتة وإتما راح يعزف من الذاكرة .. سحرتى لمدة ساعة بمقطوعات لم أسمعها من قبل ومن المستحيل أن يصفها من ليس مختصاً ..

دندنت تنفسى هذه الأتحان مرارًا فيما بعد ، وعندما انتهى عزفه طنبت منه أن يكرر بعض المقاطع قوضع القوس جاتبًا وارتسم على وجهه ذلك المزيج من الخوف والضيق الذى رأيته على وجهه أول مرة . حاولت أن أصفر بعض الأتحان كما سمعتها منه أمس ، لكن يده العظمية امتدت في حزم إلى فمي لتمنعني من تقليد هذه الألحان .

وهنا أظهر علامة أخرى على غرابة أطواره عندما اختلس نظرة إلى النافذة كأته يخشى قدوم متطفل يتوقعه ، وهو تصرف

غربب لأن العلبة تقع قوق مستوى كل البنايات المحيطة بها وهذه النافذة تطل على الشارع المتحدر .

شعرت يرغبة في أن ألقى نظرة من تلك النظاة الأرى تلك الأسطح التي يضرها ضوء القمر ، والتي لا بيصرها أحد مسوى هذا المسكن . الجهت النافذة وكنت أجنب الستائر عديمة الشكل ، أولا أن أحق يبي الساكن الأخرس بغضب مذعور أكثر مما سبق ، وهذه المرة كان بشير للباب في عصبية متأهبًا لجرى بيديه أو المتضى الأمر .

تضابقت منه فطلبت منه أن يتركنى وقلت إننى معنتصرف . استرخت قبضتى ولاحظ المعنزازى فبدأ غضبه يتلاشى ، ثم أشار لى إلى مقعد كى أجلس وكتب لى كلمات على ورقة بفرنسية رديئة جديرة يأجنبى ،

كاتت الورقة التى ناولها لى تحمل عبارات طلب العفو . كتب إنه وحيد عجوز تنتابه مضاوف غامضة . لقد أحب إنهاتى لموسيقاه ورجا أن أعود له ولا أبالى بغرابة أطواره . لكنه لا يطبق أن يسمع ألحاته من شخص آخر ولا يطبق أن يلمس أى شخص شيئًا في غرفته .

طلب منى أن أطلب من (بالاسدو) أن ينقلنى لغرفة فى طابق تحت هذا كى لا يضايقنى صوت العزف ليلاً، وقال إنه سيدفع أى فارق فى الإيجار ،

شعرت بتعاطف مع الرجل ، فهو مرهق بمخاوف نفسية مثلى ، وقد علمتنى دراستى أن أتسامح .

جاء صوت من خارج الغرفة فلابد أن المصراع تجرك مع هواء الليل ، أذا أجفلت لكنه أجفل مثلى . صافحته وقصرفت في النهابية .

فى اليوم التالى أعطانى (بلاندو) غرفة أغلى سعرا فى الطابق الثالث ، بين غرفتى مراب عجوز ومنجد . لم يكن هناك مكان فى الطابق الرابع .

لم يطلب منى (زان) أن أزوره ثانية ، وحينما زرته لم يبد مستريخا .. كان هذا فى الليل دومًا لأنه ينام نهارًا . لم يزدد إعجابى به برغم أننى كنت مفتونًا بالطية والموسيقا الغريبة . كنت أريد أن ألقى نظرة من تلك النافذة ، لكنى تسللت مرة إلى هناك أثناء ذهابه للأوركسترا ، لكن بابه كان مغلقًا .

ما نجحت فيه كان مدماع العزف الليلى لهذا العجوز . في البداية كنت أصعد على أطراف أصابعي للطابق الفامس شم تجرأت على الصعود للعلية . هذاك خلف الياب المغلق الذي تم سد ثقب مفتاحه ، كنت أصمع موسيقا تقعمني رعبًا غير محدد .. ليس الأن الأصوات كانت مزعجة فهي لم تكن كذلك ، لكن النفعات كانت توحي بشميء غير أرضي وأحيانا كانت تتفذ شكل كانت توحي بشميء غير أرضي وأحيانا كانت تتفذ شكل ميمفونية لا أتصور أنها تصدر عن عازف واحد .

مرت الأسابيع وازداد العزف توحشًا بينما اكسب العارف جموحًا غربيًا .. لم يعد يسمح لى بالدخول فى أى وقت ، وكان يتجنبنى إذا التقينا على الدرج .

ذات ليلة تحول صوت الكمان إلى جحيم من الأصوات جعلنى الله في عقلى . ولولا بقينى من أن هذا الرعب حقيقى . لمولا سماعى خلف الباب تلك الصرخة المغزعة التى لا تخرج إلا من فم أخرس فى أعنف لحظات الرعب طرقت الباب مرازا بلا جواب ..

مرت لعظات ثم سمعت العجوز الباتس يحاول النهوض من على الأرض .. تصورت أنه فقد الوعى واستعاده فواصلت الدق . سمعته يغلق مصراعي النافذة ثم يتجه للباب فيفتحه . هذه المرة بدا راضيًا عن مجيني وتعلق بمعطفي كما يتعلق طفل بأمه .

جعلنى ادخل وأجلس على مقعد وجلس على آخر ، وراح يهز رأسه لبعض الوقت كأنه يصغى . ثم اتجه إلى المنضدة وكتب مذكرة ناولها لى . كانت المذكرة تتوسل لى أن أبقى حيث أنا إلى أن يكتب بالألمانية تقريرا كاملاً عن كل الغراسب والأهوال التى تحدق به .

انتظرت فراح قلمه يجرى على الورق .

ربعا مرت ساعة وأنا جانس أنتظر ، بينما الموسيقار العجوز بكتب ورقة تلو أخرى .. من حين لآخر ينظر للستار والنافذة .. خيل لى إننى أسمع صوتًا بعيدًا أقرب إلى عارف في بيت بعيد بالخارج . كمان تأثير هذا على زان مخيفًا لأنه نهض وامسك بالكمان وبدأ يعزف أعنف عزف سمعته منه .

من الصبير أن أصف عزف في تلك الليلة ؛ لأننى كنت ارى وجهه وأدرك أنه يعزف من فرط الرعب . كان يحاول عمل جلبة كأنه بيعد شيئًا ما ... ازداد العزف جنونًا لكنه احتفظ بالعبقرية التى عرفتها في كل ألحان هذا الرجل . ميزت الطابع العام .. إنها رقصة مجرية عنيفة معروفة في المسارح وللمرة الأولى أسمع زان يعزف ثمنًا لعارف آخر .

أعلى فأعلى . أعنف فأعنف .. الكمان يصرخ . كان العارف يتصبب عرفًا وراح يتلوى كقرد . في عنفه كنت أرى ظلالاً للساتير وعبدة باخوس يرقصون في هوة عميقة وسط الدخان والبرق .

بدأ المصراع يهنز مع ريح الليل العاوية كأنه يتجاوب مع العزف المجنون . الكمان يبعث نغمات لا أصدق أن الكمان قادر على بعثها . راح المصراع يهنز بقوة ويضرب النافذة . ثم تهشم الزجاج فاندفعت الريح الباردة للداخل وطارت الأوراق على

معدت بدى تمقعد زان و هزرت كنف. لم يستجب .. واستمر الكمان في العواء ..

مددت يدى ارأسه الأوقف حركته الميكاتيكية وصرخت فيه كي نقر معًا من رعب الظلام .. لكنه لم يرد ولم يخفف من جنون موسيقاه .

عندما لمست يدى أذنه ارتجفت .. لم أعرف السبب .. لم أعرف حتى لمست وجهه فأدركت أنه بارد كالثلج متصلب لا يتنفس. بمعجزة ما وجنت لبل والمزلاج فتنفعت فاراً من هذا الشيء زجلجي العينين قى الظلام .. من عواء هذا الكمان الملعون الذي يزداد جنونًا ..

جريت عبر الدرجات التي لا نهاية لمها ، راكضًا تحو الشوارع الضيقة . ألهث عبر الجسر الأسود عابرًا إلى الشوارع الواسعة الصحية التي أعرفها . لم تكن هناك ريح .. كان القمر مكتملا والمدينة كلها تتوهج بالضوء .

برغم بحثى المدقق لم أستطع قط أن أجد شارع (دوسيه) من حينها .. لكنني لمن نادمًا على هذا ولا على ققدان تلك الأوراق التي كان بوسعها أن تفسر لي لغز موسيقا (إريك زان)".

http://gonno.unl-weimer.de/%.7l-sucs2208/acma/trick/zusa_/Genneik/escrichzana.com

المنضدة التي كان زان بكتب نكريت عنيها . نظرت لزان فوجعت قه تقربيًا غلب عن الوعى . عيناه الزرقاوان جلعظتان زجاجيتان لا تريان ، والعزف صار طقمنا عربيدًا لا يستطيع قلم أن يصفه .

فجأة حمل الأوراق وهرع إلى الشافذة وفسي حمسرة راقبت الأوراق تطير . هذا تذكرت رغيتي في النظر من هذه النافذة . كان الظلام دامسنا لكن أضواء المدينة كالت تتوهج وتوقعت أن أراها وسط الريح والمطر

لكن حينما نظرت من النافذة .. نطرت بينما الشموع تهنز والكمان العجنون يعوى بريح المساء . لم أر مدينة .. لا أضواء ولا شوارع .. فقط سواد فضاء بلا نهاية .. فضاء لا يشبه أي شيء على الأرض ..

وإذ وقفت أنظر في رعب أطفأ الهواء ضوء الشموع تاركا إياى والله المنافع المتوحش الكثيف والجحيم لمامى . وجنون الكمان من خلقي -

تراجعت في الظلام فاصطدمت بالمنضدة وأسقطت مقعدًا ..

الأنقذ تقسى وزان يجب أن أهاول مهما كاتت القدوى النسي أجابهها .. يخيل لي إن شينًا باردًا اصطدم بي فصرخت لكن صرختى لم تتغلب على صوت الكمان . وفجأة من الظلام ضريتى القوس المجنون .. عرفت أتني بقرب العازف ..

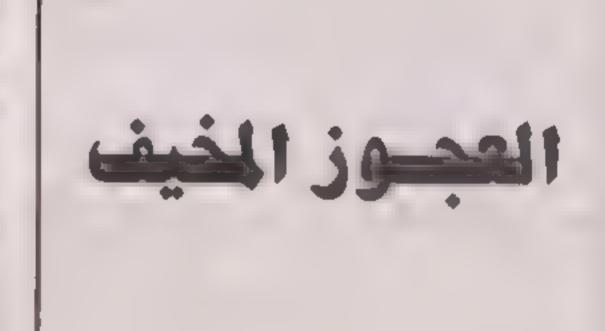
^(*) مَكُلُ تَعِيدِ (موسوقًا إريكُ زَانَ) الوجدان الجمعى الغربي ، لدرجة أن هناك عدة قرق تقدم موسيقا مجتونة واحتارت تنقسها ذات الاسم يمكنك تعميل قيلم عرفس قماني طريف قصور يحكى القصة ذاتها من الموقع :

كانت تك فكرة (أتجيلو ريتشى) و (جو تزانك) و (ماتويل سيلفا) أن يزوروا العجوز المخيف . يعيش هذا العجوز وحيدا في بيت عتيق في (ووتر سعريت) قرب البحر ، وهو مشهور بأته ثرى وضعيف ، وهذا ما يشكل إغراء شديدًا لمن يمارسون المهنة التي يمارسها هؤلاء السادة . إن مهنة هؤلاء القوم ليست أكثر شرفًا من المعرقة .

يقول سكان كنجزبورت ويعتقدون في أشياء كثيرة بصدد العجوز المخيف .. أشياء تبقيه في أمان من اهتمام السادة أمثال ريتشي ورفاقه ، وبرغم أن الكل كان موقنًا أنه يخفى كنزا عظيم القيمة في مسكنه البائي المرعب .

الواقع أنه رجل غريب الأطوار ويقال إنه كان قبطانًا لسفينة شراعية صريعة خاصة بشركة الهند الشرقية ، وهو مسن بحيث لا يذكر أحد أنه كان شابًا ، صموت بحيث لا يعرف أحد اسمه .

فى فناء داره تجد مجموعة غربية من الحجارة العملاقة مرتبة ومطلبة بشكل غربيب، حتى تشبه أصنام المعابد الشرقية . هذه المجموعة تثير رعب الصبية الذين يضايقون العجوز أو يهوون تحطيم نوافذ داره بقذائفهم . هناك أشياء أخرى تخيف الأكبر سنا الذين بختاصون البصر عبر النوافذ .



بقول هؤلاء إن هناك منضدة عليها زجاجات كثيرة .. تتعلى فيها قطعة رصاص كالبندول من خيط . يقولون إن الرجل بكلم هذه الزجاجات ويطنق عليها اسماء مثل (جاك) و (الوجه ذو النعبة) و (توم الطويل) و (جو الأسبائي) و (بيترز) و (الرفيق اليس) . قانوا إنه إذ يكلم الزجاجات يهتز الخيط كأنه يجيب .

لم يكن (أنجيلو ريتشى) و (جو تراقك) و (مالويل معلفا) يمتون يصلة لدماء نبو إنجلند بل كاتوا دماء جديدة وافدة .. وقد رأوا أن الرجل العجوز مقعد تقريبًا لا يمشى من دون عصاه ، ويداه ترتجفان يشكل مثير للشفقة . بالفعل شعروا ينوع من الأسف و هم يقصدون دار العجوز الذي تعوى الكلاب عندما تراه . لكن العمل هو العمل .. هناك إغراء شديد لمدى أي لمص في رجل عجوز واهن بلا حساب في المصرف ، ويدفع ما عليه من مال في المتجر بنقود إسبانية ذهبية صكت منذ قرنين .

اختار السادة (فجيلو ريتشى) و (جو ترقك) و (مقويل سيلفا) لبيلة 11 إبريل الزيارة . كان على (ريتشى) و (سيلفا) إجراء المقابلة مع العجوز بينما السيد (تراتك) بنتظرهما بسيارة في شيب ستريت عند الباب الخلفي لدار مضيفهما . فلم يكن أحدهم يرغب في لقاء غير ضروري وغير متوقع مع الشرطة .

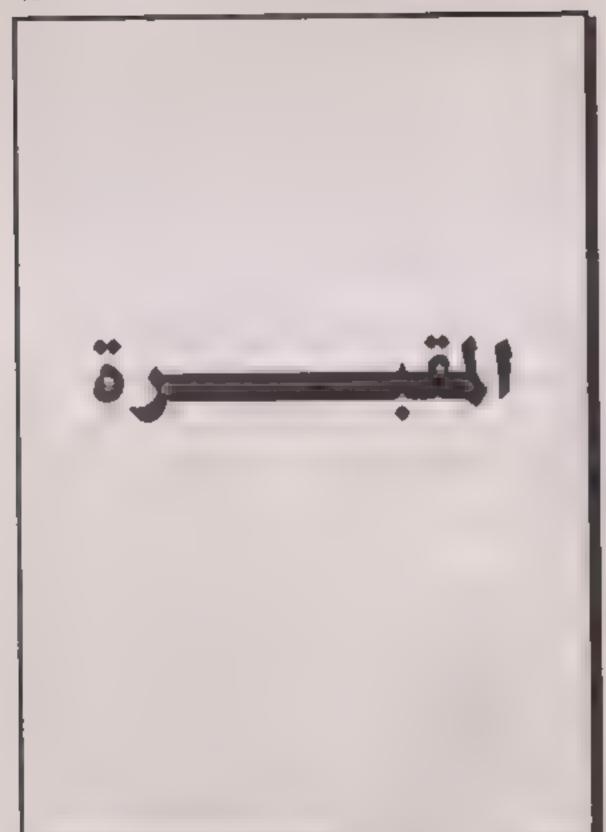
تحرك المسادة منفصلين كي يمنعوا أية شكوك شريرة بصدد نولياهم . التقي ريتشي وسيلفا في ووتسر ستريت عند باب العجوز الأمامي . لم يحبا كثيرًا ضوء القمر الساطع على الصخور لكن كت لديهما لشياء أهم . كتا يعرفان قه من الصعب جعل الرجل يتكلم عن ذهبه المخبأ لأن القباطنة المسنين أميل للعناد والتكتم . لكنه كان مسنًا واهنا و هما النان . والسيدان متمرسان في فن جعل الأشخاص ثرثارين ، ومن السهل أن تكتم صرخات رجل ضعيف عجوز . مشيا نحو النافذة وأصغيا للرجل وهو يكلم إحدى زجاجاته .

تْبِنَا الأَفْتُعَةُ وَدَقًا عَلَى البابِ البلوط في أدب .

بدا الانتظار أطول من الللازم بالنسبة لمستر تزانك وهو يعبث في السيارة التي تقف عند باب السيد العجوز الخلفي . كان رقيق القلب نوعًا ولم يحب الصرخات المربعة التي دوت في المنزل المهجور عنما حان وقت العملية . ألم يطلب من رفيقيه أن يكونا رفيقين قدر الإمكان مع القبطان العجوز ؟

راح يراقب البوابة المصنوعة من خشب البلوط وسط الجدار الصفرى . أحياتا كان ينظر لساعته متسائلا عن سبب التأخير . هل مات العجوز قبل أن يكشف عن مكان الكنز ؟

لم يحب الانتظار طويلاً في الظلام .. هنا سمع صوت طرقات داخل البواية وسمع من يعبث في المزلاج الصدئ برفق . ثم رأى الباب الثقيل يتفتح .



ضيق عينيه نيرى ما جلبه زميلاه من ذلك البيت الشقى ، لكنه حين نقق النظر لم ير ما النظره .. لم يكن زميلاه هناك . فقط العجوز المخيف بتوكا على عصاه وبيتسم فى شر . لم يكن قد لاحظ لون عينى الرجل من قبل ، وقد أدرك الأن أنهما صفراوان .

إن الأمور البسيطة تحدث إثارة عظمى فى المدن الصغيرة، ولهذا راح القوم يتكلمون طيلة الربيع والصيف عن الأجساد الثلاثة مجهولة الهوية والمعزقة بالسيوف، والتي هشمتها مئات الأحذية ذات الرقبة، والتي ألقى بها العد على الشط.

تكلم الناس عن أشياء صغيرة مثل سيارة مهجورة في شيب ستريت ، وصرخات غير ادمية كأنها صدرت عن طيور بحرية ، والتي سمعها بعض الناس ليلا . لكن لم يتكلم أحد قط عن الحادث مع الرجل العجوز المخيف . كان بطبعه متحفظا وعندما يشيب المرء ويضعف فإن تحفظه يزداد . كما أن قبطانًا عجوزًا كهذا لابد وأنه رأى أشياء أكثر بشاعة في شبابه الذي لم يعد يتذكره .

عندما أحكى الظروف التي قادتني للاحتجاز في ملجأ المجانين هذا، فإننى أفهم أن وضعى الحالي سوف يجعل الناس يشكون في صحة قصتي .

إنها لحقيقة تصنة أن أكثر البشر محدود البصيرة العقلية يحرث لا يعكنهم الحكم على هذه الطواهر يصير ونكاء . الظواهر التي لا تراها وتشعر بها إلا القلة من مفرطي الحساسية النفسية . الرجال الأكثر ثقافة يعرفون أنه لا يوجد فاصل واضح يبن الحقيقي وغير الحقيقي ، وأن الأشياء لا تبدو هكذا إلا عن طريق وعينا .. لكن مادية الأغلبية تعتير تلك الوهجات من البصيرة التي تختري الحجب جنونا .

اسمى (جيرفاس دودلس) .. كنت حائمًا وصاحب رؤى منذ طفولتى . كنت ثريًا أكثر من حاجتى ولم أكن ذا مزاج يسمح بالدراسة النظامية والادماج في الحياة الاجتماعية .

قد امضيت صباى ومراهقتى مع كتب قديمة شبه مجهولة وأنا أجوب الحقول قرب مسكنى . يخيل لى أتنى لم أر أو أقرأ فى تلك الكتب ما كان أقراتى يرون ويقرعون . لكن على ألا أصرح أكثر لأن الكلام الصريح قد يعيد الشك فى قواى العقلية كما أسمع رفاقى . يكفينى أن أقص الأحداث ولا أحاول تقسيرها .

قلت إلى عشت بعيدًا عن العالم المرنى ، لكن لم أقل إننى عشت وحدى .. لا بشرى يقدر على هذا ..

جـوار بيتى بوجد واد مشجر اعتدت أن أمضى أكثر وقتى فى ظلمته ، أفكر وأحلم . على منحدراته مشبت خطواتى الأولى طفلاً ونسجت أحلام صباى . رأيت حوربات الأشجار وراقبت رقصهن المحموم تحت أشعة القمر الخافتة . لكن ثن أتكلم عن هذا الآن بل عن القبر المتوحد فى ظلمات الأشجار ، وهو قبر (هردز) المهجور ، أسرة قديمة عريقة غاب آخر أحفادها فى هذه الظلام قبل مولدى بعقود ،

القبر الذي أتكلم عنه من جرانيت قديم زال لونه بقعل الأبخرة والرطوية عبر أجيال . حفر في جانب الجبل بحيث لا تراه إلا من المدخل . الباب قطعة حجر تتصل بمفصلات صدنة وقد أبقى نصف مفتوح في موضعه بجنازير حديدية ضخمة كما هي العادة المربعة منذ نصف قرن . هناك عاصفة دمرت قمة هذا الضريح منذ عقود ، ولهذا يتكلم للناس في هيية عن (غضبة السماء) .. مما أثار فضولي ولهفتي لمعرفة هذا المكان .

حينما دفن آخر آل (هيدز) هنا جاءت بقاباه من مكان بعيد ، فلم بيق من بضع أزهارًا على القبر ولابصر أحد على اجتياز الظلال التي تحيط بهذه الصخور . أن قسى عصر ذلك البوم الذي وجدت فيه بيت الموت هذا . كان هذا في منتصف الصيف عندما تتحول الغابات إلى كتنة متجاتمة حية من اللون الأخضر . في هذا المناخ يفقد العقل معابيره ويصير المكان والزمان بلامعني .

الطفل سيجد قدره لو أنه استطاع أن يرقع الحجر . هذا جعل صبرى يهدأ فقلت لنفسى إتنى سأتنظر حتى أكتسب قوة وعبقرية تجعلانني أفتح الباب بسهولة .

روايات مصرية للجيب

ازدادت الفكرة إغراء بعد ما عرفت أن هناك صلة قرابة بعيدة واهية بين أمى وتلك الأسرة المنقرضة . بما أننى آخر نسل أسرتى فهذا يعنى أتنى آخر من يحمل دم هذه الأسرة المنقرضة . بدأت أشعر كأن القبر قبرى .. بدأت أحلم بالعرور عبر هذه الدرجات الزُّلْقَةَ فِي الظَّلَامِ . وصنعت تعريشة من الأشجار فوق المكان . وصار هذا المكان مكاني والباب المظلق بابي .. هنا سأمضى الدهر راقدًا احلم بلدائم غربية .

كالت أولى ليسالي الرؤيا حسارة رطيبة . لابد أتني غفوت من التعب الأنسى كنت شبه متيقظ عندما سمعت الأصوات . أخشى أن أتكلم عن الأصوات واللهجات .. لن أتكلم عن نوعيتها لكنها كانت غربية في المصطلحات والهجاء والنطق ، بدا لي كأنني أسمع هذا كل لهجة عرفتها (نبو إنجلند) منذ عصور المستعمرين البيوريتاتيين حتى اللغة السائدة منذ خمسين عامًا .

هنا لاحظت ظاهرة غريبة أخرى . ظاهرة فريدة بحيث لا أعرف كيف أصفها .. خيل لى عندما نهضت أن ضوءًا كان في الضريح وقد اطفأه أحدهم بسرعة .. لا أحسب الذعر غلبني لكني

كنت أمضى يومى في رياض الوادى الغلمضة ، وأتحاور مع أشياء لم أذكر اسمها . وكنت أمشى بين صفين من الأشجار عندما وجدت نفسى أمام باب القبو . لم أعرف ما وجدته .. كانت هناك مسلحات من الجراتيت ونقوش جنائزية فوق القوس . لكني لم أشعر بأي خوف أو توجس وأنا أرمق هذا المدخل بـل الفضول فقط. ثمـة نداء خفى جعلنى أود أن أجناز هذا المدخل برغم الجنازير التى تغلقه حاولت أن أحشر جسدى عبر التجويف لكن لم أتجح. وأقسمت وأنا عاند لدارى أننى سأحد طريقة لاجتياز المدخل إلى الظلمات التي تدعوني لها إن الطبيب ذا اللحية الرمادية الذي يسردد على غرفتي يوميًا ، قال للزوار إن هذا القرار يعكس جنونا أحاديًا قاسيًا لكنى سأترك القرار النهاتي لقراتي .

في الفترة التالية رحب أحاول أن أجتاز هذا المدخل وإن لم أخبر أحدًا بنواياي ، لم يدهشني أن أعرف طبيعة اكتشافي برغم أننى كثت طفلا .

لقد كنت أقف أمام هذا الباب عدة ساعات كل يوم . أرى شيئا يبدو كدرجات رطبة تقود لأسغل وكاتت راتحة المكان تنفرنى لكنها تسحرني . شعرت بأنني أعرفه من قبل في زمن سحيق ..

عامًا بعد عام كنت أرمق القير ، وفسى هذا الوقيت قرأت أسطورة (ثيذيوس) وعن المجر العملاق الذي تحته كان البطل

ابقت اننى تغيرت كثيرًا فى تلك اللبلة . عنما عنت لدارى اتجهت للصندوق العتيق فى العلبة حبث وجدت المفتاح .. المفتاح الذى استطعت به فى البوم التالى فتح الماجز البذى حاولت اجتيازه طويلاً بلا جنوى ،

كنت في ضوء العصر الناعم عندما دخلت الغبو المنسى . كنت مسحورا وقلبي بدق يقوة . . أغلقت الباب خلفي ولزلت في الدرج على ضوء شمعتى الوحيدة ، وخيل لي أنني أعرف الطريق . وبرغم أن الشمعة راحت تفرقع بفعل أبخرة المكان الكربهة ، فقد شعرت باتني في دارى . من حولي كانت هناك ألواح عليها توابيت أو بقايا توابيت بعضها كان مفتقًا وسليمًا وبعضها كاد يتلاشى .. تساقطت المقابض الفضية وسط التراب ..

على لوحة رأيت اسم السير (جيفرى هايد) الذي جاء من (سوسكس) عام 1640 ومات هذا بعد أعوام قليلة . ورأيت تابونًا خاليًا مقتوحًا بلا ساكن قرأت الاسم المكتوب عليه فجطنى أشعر بمزيج من رعب وطراقة ، ولسبب لا أفهمه وجدت نفسس أتعدد في هذا التابوت ،

فى ضوء الفجر غادرت القبو وأغلقت السلملة خنفى .. لم أعد شابًا برغم أن 21 شقاء لا أكثر قد جمدت جسدى ، وكان الفلاحون المبكرون ينظرون لى فى دهشة . لم أظهر أمام أهلى إلا بعد توم طويل منعش .

رحت أسلق القبر كل البلة الأرى وأسمع وأفعل أشواء الالذكرها .. كان كلامي أول ما بدأت تطرأ عليه التغيرات الجديدة .. وقد الاحظ الكثيرون كيف صارت لغتى عتيقة تستعمل كلمات منسية . أم بدأ نوع من التهور والجرأة يطفي على سلوكي . أظهرت معرفة واسعة ليست كتلك الرهبنة التي عشيتها في شبابي . ورحيت أكسو الصفحات الخالية في بدايات ونهايات كتبي بأفكار بارعة لها طابع القرن الثامن عشر الأدبي .

ذات صباح على الإفطار كدت أسبب كارثة إذ رحت أتكلم بمرح باخوسى الطابع من القرن الثامن عشر .. قلت شيئًا كهذا :

الجعة والمعود يا رفاق ومعكم أباريق الجعة والمسريوا للحاضر قبل أن يولى كوموا للحاضر قبل أن يولى كوموا للحم في الصحاف فالراحة لا يجلبها إلا الطعام والراح .. فيل أن يقتى الصباح قبل أن يقتى الصباح

عندما تقنون ، أن تشربوا في صحة مليككم ولا حسناتكم .. (كتاكريون) كان أنقه كحمر ذات صياح غادرت المقبرة ووضعت السلسلة ويدى ترتجف، هذا وجدت من يراقبني بين الأشجار .

لقد دنت النهاية وعرفوا مكان تكعيبتي وعرفوا مسبب جولاتي

لم بيادرتي بالكلام، لذا هرعت للبيت كي أسبق بمعرفة ما صيقوله هذا الرجل لأبي المرهق القلق . هل سيعرف العالم كله قصة تسللي للمقبرة ؟ . . تصور دهشتي حينما أسمع الجاسوس يخبر والدى هممنا حدرًا أتنى قضيت الليل جوار باب المقبرة، وعيناى اللتان غلفهما النعاس لا تبرحان المدخل الموارب ..

بأية معجزة تم تضليل هذا المراقب ؟..

صرت الأن مقتنفًا بأن قدة خارقة للطبيعة قد حمنتي ، وأكسبنى هذا الخاطر جرأة وبدأت أستعيد شجاعتي وأعود للقبو شاعرًا بأن لحدًا لن يراتي .

طَنْكَ لأسبوع غارقًا في تلك المتعة عندما حدث الشيء ..

وهكذا كتب على أن أتنقل لعالم من الأسف والرتابة ..

ما كان يجب أن أجرب في تلك الليلة ؛ لأن الرعد كان بين السحب و هذاك تألق فوسفورى شيطاتي ينبعث من المستنقع في أعماق الغابة . كذا كان نداء الموتى مختلفا .

كذا پڙعمون .. لكن ما الألف الأحمر وأنت سعيد مفتون ؟ أفضل أن أكون لعمر وأبقى بيتكم على أن أكون أبيض كالسوسن وسينًا فترفقي ياحسناء اضعكوا ا

فتحت منة أقدام من التراب لن يكون الضحك منهلا ..

في هذا الوقت اكتسبت الخوف من الرعود والعواصف .. لم أكن أبالي بهذه من قبل لكني صرت أتوارى في ركن قصى من البيت متى قررت السماء ممارسة العابها الكهربية . كنت أتخيل ذلك البيت الذي احترق وكيف كان في عظمته قبل العاصفة .

في النهاية جاءت اللحظة التي خفت منها طويلاً. نقد ذعر أبواى الخثفاء ابنهما المتكرر وبدأا يتجسسان على مما كاد وسبب كارثة . لم أحث لأحد عن زياراتي للمقبرة ، وقد أبقيت سرى منذ الصبا ، لكنى الآن صرت مجبراً على أن أكون حذراً أثناء مشيى في الغابة حتى لا أترك أي آثر بدل على .

كنت أبقى المقتاح معلقًا إلى صدرى يخيط . ولم آخذ عمى أي شيء وجدته بين جدران الضريح .

عندما خرجت من الغابة قرب الخراتب رأيت في ضوء القمر الضبابي شيئا توقعته دومًا بشكل غامض ، البيت الذي رحل منذ قرن قد عاد ينتصب أمام الأنظار . كل نافذة تتأتق بضوء شموع عدة ، وعلى الطربق تندفع عربات أرستقراطية بوسطن ، بينما امتلأ العدخل بسادة المجتمع الراقى .

84

وسط هذا الزحام اختلطت برغم معرفتى أتنى أتنمى للمضوفيات لا الضيوف . داخل قاعة البيت كاتت موسيقا وضحك وخمر فى كل يد . عرفت بعض الوجوه برغم أتنى أعرفها أكثر وقد أبلاها الموت . كنت أنا الأكثر جنون والأكثر عزلة .. مرح مجنون راح ينصب في عروقي ..

فجأة دوى الرعد ... أعلى من صوت العربدة ذاتها .. ضرب السطح وألقى بالذعر في قلوب الجمع الصاخب .

وخرجت ألسنة حمر من اللهب وهبات حارة من النار لتلتهم البيت والدلعت الصرخات .. وهرب الجميع لميفيوا في الظالام . أنا وحدى بقيت .. مقيدًا لمقعدى بخوف لا قرار منه ..

ثم استولى رعب جديد على عقلى .. أو احترفت وصرت رمادًا قلن ارقد أبدًا في قبر آل (هايد) .. أليس تابوتي معدًّا لي ؟.. أليس من

حقى أن أستريح بين سلالة سير (جيفرى هايد) ؟.. إن اسمى هو (جيرفاس هايد) ولسوف أطالب بحقى في الدفن هذا ..

عندما غاب شبح البيت المحترق ، وجدت نفسى أصرخ بين ذراعى رجلين أحدهما كان الجاسوس الذي تبعنى للقبر .. كان المطر ينهمر مدرارًا وفي الأفق الجنوبي ينتمع البرق .

كان أبى وقد غمر الأسف وجهه يقف بينما أنا أصرخ مطالبًا يحقى فى الدفن هذا ، وكان بطالب من بمسكون يسى بأن يرفقوا بى قدر استطاعتهم ..

كان هناك حشد من القروبين الفضوليين بحملون المصابيح ويحيطون بصندوق عتبق بدا واضحًا في ضبوء البرق . توقفت عن المقاومة العنيفة وراقبت المشاهدين وهم يفتحون الصندوق . كفت ضربة البرق قد دمرت أقفاله فوجدناه ملينًا بالأوراق وأشياء ثمينة لكنني كنت أبحث عن شيء بعينه . كان تعثالاً صغيراً من الخزف نشاب يلبس جمة أتيقة ، وعليه الحروف (ج . ه.) .. وعدما رأيت وجهه بدا لي أتنى أنظر في المرآة ..

فى اليوم التالى أحضرونى لهذه الغرفة ذات القضيان على النوافذ ، وأخبرنى خادم بسيط عجوز كنت أحبه فى طفولتى بأشياء معينة . أما ما جروت على أن أحكيه عن تجاربي فى القبر فقد جلب ابتسامات الشفقة لا أكثر .

حقانق تتعلق بالفقيد

أرثر جرمين وأسرته (*)

(٥) اضطرت محلة رحكايات عرية) لتغيير هد الاسم الطويل إلى (القبرد الأبيض) .
 أنه أثار عيظ الافكرافت - ثم يعد الاسم الأصلى إلا بعد أعوام من وفاته

قال أبى الذى يزورنى بانتظام إننى لم أجنز الجنزير على الباب قط، وأقسم أن القفل الصدئ لم يمس منذ خمسين عاماً. قال إن الفلاحين يعرفون بأمر رحلاتى للمقبرة وقد رآنى كثيرون ثائماً في التكعيبة ..

لم يكن عندى ما يقال هنا لأن مفتاحى قد فقد فى صراع الليل . وقد أصر أبى على أن ما عرفت فى تلك النقاءات الليلية ليس سوى ثمار قراءاتى فى مكتبة أسرنتا .

لولا خادمى العجوز حيرام لافتنعت كلية بأننى مجنون ، لكن حيرام المخلص للنهاية كان يثق بى وفعل الشيء الذي جعنى اكتب هذه القصة للملأ ..

منذ أسبوع فتح القفل الذى يغلق المقبرة ونزل بمصباح إلى تلك الأعماق ، وعلى لوح حجرى وجد تابوتًا مفتوحًا خاليًا عليه كلمة (جيرفاس) .

في هذا التابوت وفي هذا القبو سوف أدفن كما وعدوني بالضبط ..

-1-

إن الحياة شيء مروع ، فمن خلف العوالم التي تعرفها تطل لمحات شيطانية من الحقيقة التي تجطها أكثر ترويغا ألف مرة ..

نريما لو عرفنا من نحن ، لفعننا كما فعل سير (أرثر جيرمين) الذي أغرق نفسه بالبترول ، وأشعل النار في ثيليه ذات ليلة . لم يضع أحد البقايا المتفحمة في إناء أو خلد نكراه ، لأن بعض الأوراق التي تركها جعلت الناس يفضلون أن ينسوه .. بعض من عرفوه ينكرون أنه وجد أصلاً .

أحرق (جيرمين) نفسه بعد ما رأى الشيء في الصندوق الذي جاء من أفريقيا، وكان هذا الشيء وليس مظهره الشخصى هو ما جعله ينهى حياته . فليلون كقوا مير غبون في قحياة لو كقت لهم ملامح (أرثر جيرمين) ، لكنه كان شاعرًا ومثقفًا ولم يكن بيالي يمظهره .

كان العلم في دمه الأن جده الكبير مدير رويرت جيرمين كان عالم أنثروبولوجي مرموقًا بينما جد جده مدير (ويد جيرمين) كان من مكتشفي الكونغو الأوائل وكتب الكثير عن قبائلها . وكاتت له نظريات غربية عن سكان الكونغو بيض البشرة من قبل التاريخ مما جعل الكثيرين يسخرون من كتابه .. وفي العام 1765 وضعوا هذا المستكشف الشجاع في مستشفى أمراض عقلية .

كان الجنون موجودًا في سلالة (جيرمين) كلها وقد سر الناس لأنه نيس هناك كثيرون منهم . كان آرثر هو الأخير ، ولم يكن مظهرهم مريحًا .. ثمة شيء خطأ في ملامحهم لكن أرثر كان أموأهم ...

من الواضح أن الجنون بدأ مع سير (ويد) لأن ملامح من سيقوه من أجداد كانت وسيمة رقيقة . كما أن مجموعته من التذكارات ليست مما يمكن أن يجمعه رجل طبيعى . كانت زوجته ابنة تاجر برتفائي قابله في أفريقيا ولم يكن يحب الحياة البريطانية . رافقته مع رضيعها الذي ولد في أفريقيا في رحلته الثالثة والرابعة لكنها لم تعد قط . كانت تقيم منفردة في جناح خاص في دار (جيرمين) ولم يكن يخدمها سوى زوجها نفسه . ييدو أن الرجل كان متحفظا بصدد أسرته لأنه إذ عاد الأفريقيا لم يترك أحدًا يعني بابنه سوى امرأة سوداء عجوز قبيحة من غينيا .

لكن كان كلام سير (ويد) هو ما أفنع أصحابه بأنه مجنون .. في عصر العقل الذي هو القرن الثامن عشر ، كان من الحمق أن يتكلم المرء عن رؤى مجنونة ومشاهد غربية تحت قمر الكونفو . عن أعمدة مدينة منصية غطتها الأشجار وعن درجات تقود لأقبية مظلمة . عن مخلوقات غربية تعيش هناك .. مخلوقات ظلت حية بعد ما دمرت القردة العظمى المدينة ..

من المهابة الشرقية الغربية . بدأ (روبرت جرمين) حياته كدارس وباحث وكان أول من درس التركة الغربية التي تركها جده ..

عام 1815 تزوج فتاة من أسرة الفرسكونت (برايتهولم) ورزق بثلاثة أطفال لم ير أحد أكبرهم ولا أصغرهم علنا بسبب تشوه عقلى وجسدى . حزينًا راح العالم يبحث عن الراحة في العمل وقام برحلتين في أفريقيا .. في العام 1849 فير ابنه (نيفل) وهو فتى متمرد يجمع بين فظاظة جيرمين وعجرفة أل برايتهولم مع راقصة سوقية . لما عاد في العام التالي تلقى الصفح .. نقد عاد أرمل ومعه ابن هو (الفريد) الذي سيصير ولك (أرثر جيرمين) بومًا ما .

قال الناس إن هذه المصالب هي التي أطارت عقل (روبرت جرمين)، لكن ربما كانت بعض الأساطير الأفريقية هي سبب الكارثة. كان الباحث يجمع أساطير قباتل أونجا قرب مناطق بحث جده، وهو يأمل أن يجد ما يثبت كلام جده عن مدينة مفقودة تعيش فيها كاننات عجيبة.

فى أكتوبر عام 1852 زار المستكشف (صمويل سيتون) منزل جيرمين ومعه أوراق جمعها من الأوجا .. كاتت هناك خرافات عن مدينة رمادية تعيش بها قردة بيضاء ويحكمها إله أبيض . ييدو أنه ذكر بعض التفاصيل التي أن نعرفها أبدًا .. ذكن كوارث مرعبة بدأت تحدث ...

بعد عودته آخر مرة راح سير (ويد) يتكلم عن هذه الأمور بحماس مجنون خاصة بعد الكأس الثائثة في حاتبة (رأس الفارس) ويحكى عن معيشته في الغابة في أماكن لا يعرفها سواه . في النهاية وجد نفسه في مستشفى المجانين . لم يبد ندمًا ..

كان ابنه قد كبر وبدأ بمقت ببته ، حتى جاءت اللحظة التى بدأ بخافه فيها .. وعاش فى حانة (رأس القارس) بالكامل ، وبعد ثلاثة أعوام ماك ،

برغم أن (فينيب) حقيد (ويد جيرمين) كان يشبه جده إلا أن منظره وطياعه كاتت للفظاظة أقرب لدرجة أن الناس اجتنبوه. لم يرث الجنون لكن غياءه كان مطبقًا وأحياتًا كان يغضب غضبات مربعة. كان صغير الحجم لكنه قوى جدًا.

بعد 12 علمًا من ورقة نقب لورد تزوج فينة مدير عزيته وهى من اصل غجرى وقبل أن يولد ابنه التحق بالبحرية كبحار عادى . وإذ دنت الحرب الأمريكية من نهايتها عرف الناس أنه بحار على مسفينة تجارية عند سواحل أفريقيا ، واختفى ذات ليلة عندما رست سفينته على معاحل الكونغو .

بدأت تلك الخاصية الأسرية الغربية تظهر بشكل مختلف مع ابن سير (فيليب جرمين) . كان فارع القامة وسيماً فيه شيء

_ 2 _

روايات مصرية للجيب

كَانَ آرِئْر جِيرِمِينَ هُو ابنَ أَنْقَرِيد جِيرِمِينَ .. وكانَ مطربًا فَسَي المسرح ، عندما قر الأب أخذت الأم طقلها إلى منزل (جيرمين) حرث لم بعد هناك من يعترض على وجودها ..

قررت أن تربى أبنها تربية قويمة على قدر ما يسمح به ما معها من مال . كانت موارد الأسرة محدودة تمامًا الآن ، لكن أرثر الصغير أحب البيت وما فيه . كان بِذَنْلُف عن أسلافه في أنه كان شاعرًا وهالمًا . وقال الجيران الذين سمعوا عن زوجة (ويد جيرمين) إن دمها البرمغالي قد أقصح عن نفسه في هذا الفتى . لكن كثيرين محروا من حبه للجمال وقالوا إن السبب هو أمه التي كانت مجهولة في المجتمع .

كاتت شاعريته أكثر وضوحًا يسبب مظهره .. نقد كان معظم آل (جرمین) لهم مظهر منفر لکن وجه (آرٹر) کان صادمًا ... من الصحب أن تصف كيف يبدو ، كما أن طول دراعيه كان يشير تقور من يقابله الأول مرة .

كان موهوبًا فتال أعلى الدرجات في أكسفورد ويدا أتله جدير بسمعة أسرته .. برغم أنه كان شاعرًا أكثر منه علامًا فإنه قرر أن يواصل عمل أجداده . وكان يشعر بعزيج غريب من رهية وشغف كلما سمع عما وجده جده .

حينما غادر سير (روبرت جيرمين) المكتب ترك خلقه المستكشف مخنوفًا ، وقبل أن يقبض عليه أنهي ينفسه هياة أو لاده الثلاثة . مات (نيفل) و هو يحاول حماية ابنه (الفريد) ذي العامين ، ونجح

حاول سير (روبرت) الانتحار عدة مرات ، وأصر بعناد على ألا وتطلق كلمة ذات معنى ، ثم مك بعد عام بنزف مخى في صحنه .

صار سير ألفريد بارونًا عندما يلغ الرابعة من العمر ، لكن ميوله لم تكن جديرة بهذا اللقب ، في من العثرين التحق بقرقة عارَفين ، وفي سن السادسة والثلاثين هجر أسرته وسافر مع سيرك جوال . كانت نهايته بشعة لأنه بين الحيواتات التي كانت معه كاتت غوريلا ضخمة فاتحة اللون افتتن بها وكاتت شهرتها عظيمة في السيرك . في النهاية طلب أن يسمحوا له بتدريب الحيوان وقد أدهش المشاهدين ورملاءه بتجاحه .

ذنت صباح في شيكاغو كان بجرى بروفة معها على مباراة مالكمة بارعة ، وجهت له لكمة أقوى من المعتاد فأنت جمده وكرامته . لما ما حدث بعد هذا فيفضل عاملو المديرك ألا يحكوه . لم يتوقعوا أن يسمعوا الرجل يطلق صرخة غير بشرية .. بممك خصمه بيديه ويوقعه على أرض القفص وينشب أسناته في حلقه . سقطت الفوريلا لكن ليس طويلا .. وقيل أن يعمل أحد أي شيء كان جدد المدرب قد مدار عجينًا .

95

هنا توجد ثلاث تكملات للأسطورة ..

الأولى تقول إن شيئًا لم يحدث بعد هذا سوى أن المومياء صدارت رمزًا لرفعة وقوة كل قبيلة تملكها . لهذا اختطفها أفراد قبيلة النبانجوس .

القصة الثانية تحكى عن عودة الأبيض والموت عند قدمي زوجته . القصة الثانثة تحكى عن عودة الابن الذي صار رجلا لكنه لايعرف حقيقته ..

صار (أرثر) على يقين من قصة المدينة كما حكاها أبوه .. لقد وجد بقاياها وقدر أن الأساطير بالغت في وصف مساحتها ، نكن ما تبقى من حجارة بدل على أنها لم تكن مجرد قرية الريقية .. لم يجد نقوشنا أو كتابة وكان صغر حجم الحملة لا يسمح بعمل حفريات . تكلم مع كل زعماء المنطقة عن القردة البيض والربة المحنطة ، لكن وقع على على أورويي أن يفسر المعلومات أكثر . كان هذاك (فيرهيرن) وهو عميل بلجيكي لإحدى الشركات التجارية في الكونغو ، وكان يعتقد أنه ليس قادرًا على العثور عنى المومياء فحسب بل العصول عليها كذلك .

إن قبائل النباتجوس القوية لم تعد سموى رعايا حكومة الملك ألبرت ، ويمكن إفناعهم بالتخلي عن معبودتهم هذه . لهذا عندما علا أرثر جيرمين إلى إنجلترا كان مؤمنا أنه على عنية كشف عرقى مهم لا يقيم بمال .

عام 1911 بعد موت أمه قرر سين (أرش جيرمين) أن يستكمل أبعاثه . باع جزءًا من ضيعته للحصول على المال ورتب حملة إلى الكونغو . رتب مع السلطات البلجيكية طلبًا الأدلة وأمضى عامًا في بلاد الأونجا ووجد معلومات مهمة جدًا .

بین قبائل الکالیریس کان هناك زعیم شیخ یدعی (مواتو) لم يحظ فقط بذاكرة قوية ، بل درجة عالية من الذكاء والاهتمام بالأساطير القديمة وقد أكد له صحة كل أسطورة سمعها .. أكد له وجود المدينة الحجرية والقردة .

حسب كلام مواتو قد زالت المدينة والقردة فقد دمرها النبشجوس منذ أعوام . وبعد هذا الغزو حمل أفراد القبيلة معبودة المدينة المحنطة التي كاتت هدف غزوتهم . تلك المعبودة هي القردة البيضاء التي عبدتها مسوخ المدينة والتي كانت أميرتهم بوماً ما .

لم يعرف مواتو كنه تلك القردة البيضاء لكنه يعتقد أنهم بناة المدينة العتيقة ..

الأميرة القردة كاتت زوجة إله أبيض كبدير جاء من الغرب. حكما المدينة لفترة طويلة لكن عسدما رزقا بابن رحل ثلاثتهم . فيما بعد عاد الإله والأميرة .. ثم ماتت الأخيرة فقام زوجها بتحقیظها ووضع مومیاءها فی بیت حجری کبیر حیث کان یُعبد . ثم رحل وحده .

كان الريفيون قرب دار (جيرمين) بعرفون قصصا غربية من التي حكاها سير (ويد) قديمًا في حاتة (رأس الغارس)، وقد قضى (أرثر) وقته يسمع هذه القصص وينتظر ذلك الصندوق الذي سيشحنه له (فيرهيرن) من الكونفو ..

راح يفترب أكثر فأكثر من حياة جده المجتون سير (ويد) وراح يسمع المزيد . كانت زوجة الرجل متوارية أكثر الوقت كما عرف ، وقد تسامل عن سبب هذه العزلة ثم قدر أن السبب هو جنون سبير (ورد). لابد أن المرأة التي كانت ابنة تاجر برتغالي كانت تعرف معلومات سطحية عن قلب أفريقيا ، وهذا جعلها تصفر من كالم سير (ويد) مما جعل الرجل عاجزًا عن أن يظر لها . لا جدوى من هذه الاستنتاجات بعد قرن ونصف من موت جده وزوجته .

في يونيو 1913 وصل خطاب من (فيرهيرن) يقول إنه وجد المومياء .

قال البلجيكي إنه كشف خارق للعادة .. كشف لا يستطيع رجل الشارع أن يصفه .. ليس يوسع أحد أن يعرف إن كان هذا قردًا أم يشرا إلا من كان عالمًا ، وعملية القصص ذاتها مستكون عسيرة بسبب حالة المومياء المتدهورة .

إن الزمن ومناخ الكونفو ليسا مما يرفق بالمومياوات .. خاصة لوكان تحليظها عمل هواة كما هو الحال هذا . حول عنق

المخلوق هنك سلسلة ذهبية عليها نقوش شعار نبالة ، ومن الواضح أتها كاتت تخص رحالة تصنا أخذها منه النباتجوس وعلقوها حول عنق المومياء .

سوف تصل المومياء بعد شهر من تلقى الخطاب . ووصل الشيء في الصندوق إلى دار جيرمين عصر يوم 3 أغسطس حيث نقلت للغرفة التي حفظت فيها الآثار الأقريقية .

ما حدث بعد هذا يمكن معرفته من حكايات الخدم والأوراق لتى وجدوها .

من ضمن القصص هناك قصة كبير الخدم العجوز (سومس) وهي أفضلها وأكثرها تعلمكا ، حسب قصة هذا الرجل العوثوقي غيه ، فقد القرد سير (أرش) بالمومياء قيل فتح الصندوق وإن كان صوت الإزميل والمطرقة قد أوضع أنه لم يتأخر . لم يممعوا شيئا لفترة ثم سمعوا صرخة مروعة بعد ربع ساعة ..

على الفور خرج جيرمين من الحجرة وجرى لمقدمة البيت كأن عدواً مخيفًا بطارده ، والتعبير المذعور على وجهه يتحدى الوصف . قرب الباب توقف ثم هرع إلى القبو .

هنا تصاعدت راتحة بترول ورأى السايس السير (أرثبر) يندفع خارجًا من البيت وهو يلمع بالبترول الذي غطاه من رأسه (م7-رويات علية عند (68) نداء كولو)

إلى قدميه ، وهو يجرى ليتوارى في الظلام المحيط بالبيت . عرف الجميع أنها النهاية ،

ظهر وهج بين الأشجر وتعالت النار إلى السماء أما السبب الذي لم يقم أحد من أجله بجمع بقايا (أرثر جيرمين) المتقحمة ولم تدفن، فيكمن فيما وجدوه بعد ذلك .. خاصة الشيء في الصندوق.

إن المومياء المحنطة كاتت شعيعة المنظر متحلقة ، لكن من الواضح أنها قرد أبيض مجهول السلالة . كاتت أقرب للبشر بشكل مروع . إن الوصف المفصل لن يسر أحذا لكن هناك أشياء يجب أن تقال .. وهي تتفق مع الأساطير التي حكها صير (ويد جيرمين) .

إن القلادة حول عنق المخلوق كانت تخص آل (جيرمين) ، والتشابه واضح بين ملامح المومياء وملامح (أرثر جيرمين) الحساس ، حفيد حفيد مبير (ويد جيرمين) الذي تزوج زوجة مجهولة لم يرها أحد قط .. زوجة زعم أنها ابنة تاجر برتغالى .

قام أعضاء معهد الأجناس الملكى بحرق الشيء وألقوا بالقلاة في بثر ، وبعضهم ينكر أن (أرثر جيرمين) كن له وجود على الإطلاق .



(") حراء احر من عالم لافكر فت الدى يمكرو من قصة لأخرى عوف عفيدة (داخود) في قصة (ظل فوق ابرماوث) وهنا برى دات العالم من وجهة نظر أخرى . 101

اكتب هذه الكلمات تحت ضغط عقلى واضح ، الأننى لن أكون بعد هذه الليلة . أنا مفلس وقد التهى مخزونى من العقار الذي يجعل الحياة محتملة ، ولم أعد أطبق العذاب .. لذا مسوف ألقى ينفسى من نافذة العلية هذه إلى الشارع الحقير من تحتى . الا تعتقد أتنى منحل أو ضعيف بسبب خضوعى للمورفين ، فلو قرأت هذه الصفحات الأمكنك أن تخمن لماذا أريد النميان أو الموت .

كان ذلك في بقعة مهجورة من المحيط الهادى ، عندما معقط فارب الشحن الذي كنت فيه فريسة الهجوم المعلى . كهت الحرب العظمى في بدارتها وقوى الألمان لم تهو بعد إلى القاع ، لذا كاتت معفينتنا جائزة فيمة ، بينما عوملنا نحن البحارة باحترام كأسرى . كاتوا وعطوننا حريات وضعة حتى إنني بعد خمسة أيام من الأسر استطعت الفرار في قارب صغير ومعى ماء ومؤن تكفيني لفترة طويلة .

عندما وجدت نفسى أخيراً تحت رحمة الرياح لم أملك أية فكرة عن مكاتى . لم أكن ملاحًا بارعًا قط وقدرت فقط أتنى جنوب خط الاستواء . لم تكن هناك جزر ولا مدولجل على مرمى البصر ، وقد مضيت تحت الشمس الحارقة عدة أيام منتظراً قارباً يمر أو أن يلقى بى على ساحل مسكون . لم يظهر القارب ولا الأرض وبدأت أشعر بالقنوط .

حدث التغير أثناء نومى ولا أذكر التفاصيل لأننى كنت تاتما .. عندما صحوت وجدت أننى نصف مغمور في مستنقع يمتد حولسي وقد رسا فيه قاربي .

قد يتوقع المرء أن الطباعي الأول كان الدهشة من هذا العشيد ، لكنتي كنت أكثر ذعرًا منى مندهشًا لأننى شعرت في الهواء والماء شيئًا شريرًا يقوق الوصف ... ربعا كان السبب رائحة الأسماك الميت التنتة أو أشباء أخرى تبرز من الوحل . لا أعرف كيف أعبر بكلمات ..

لا شيء على مدى للسمع ولا شيء تراه .. فقط كان السكون مما ملائي بخوف بثير الغثيان .

كاتت الشمس تتوهيج في سماء شبه سوداء مما فيها من سحب ، كأنها تعكس المستنقع تحت قدمي . إذ زحفت أدركت أن نظرية واحدة يمكن أن تفسر وضعى .. ريما حدث تغير يركاتي رفع جزءًا من قاع المحيط للسطح كاشفًا عن أراض ظل الماء يغمرها منذ ملايين السنين . هذه الأرض كاتت تمتد يعيدًا ولم تكن هناك طبور يحرية تقتات على الأجساد الميئة .

لماعات جلست أفكر جوار القارب الذي كان على جاتبه يعكس بعض الظل من الشمس . مع تقدم النهار فقدت الأرض بعض لزوجتها ويدا أنها تسمح بالمشى فوقها بعض الوقت . نمت

ليلتها قليلا وفي الصباح حملت ما بقي معى من طعام وماء واستعدت للبحث عن عون .

كاتت راتحة السمك تثير الجنون لكن كان لدى ما يشغلني عن هذا ، وقد أمضيت اليوم كله أمشى غربًا مستهديًا بربوة أعلى مما حولها وقى الليل كنت أنام .

أمضيت أربعة لبال وصلت لقاعدة تلك الرابية التي اتضح أنها أعلى بكثير مما خيل لى من بعيد . كنت مرهقا بحيث لم أستطع التسلق قنمت جوارها .

لا أعرف لماذا كانت أحلامي متوحشة في تلك الليلة ، وصحوت مبللاً بعرق بارد وقد نويت ألا أثنام أكثر . وفحى ضوء للقمر أدركت أنى كنت أحمق إذ فضلت المشي نهارًا .. لو مشيت ليلاً الاحتاجت رحلتي إلى طاقة أقل .. لقد صار بوسعى أن أتسلق الآن ..

يجب أن أعترف أتنى عندما بلغت القمة ونظرت الموادي تحتى ، أصبت بالذِّعر .. مساحات لا تهاية لها من الظلام كأنني بلغت نهاية العالم فعلا .. وتذكرت مقاطع من (الفردوس المفقود) .

فجأة رأيت على المتحدر المقابل شينًا متسعًا يرتفع مائة ياردة أمامي . جسم يلتمع في ضوء القمر .. كان قطعة صخر عملاقة لكنى قدرت أن شكلها ليس من عمل الطبيعة . بل هي تحمل لمسات كاتنات تشعر وتفكر.

شعرت برعب لكن هذا لم يمنع شعورى بشوع من بهجة المكتشفين ، وتقحصت ما حولى . كان القمر قرب السمت يسطع فوق الدرجات المصنوعة في الصدع، وقد بدأ يكشف تلك الظلمات . كانت هناك مياه وكان هناك نصب حجرى عسلاق يمكنني أن أرى بعض النقوش على سطحه .. نقوش هيرو غليفية لا أعرف كنهها .. لكن قيها رموزًا بحرية كثيرة مثل الأسماك والضفادع .. هناك كاتنات لم أرها من قبل لكنى ميزت شكلها ومنظ المستبقع ،

كاتت هناك رسوم تمثل رجالاً لكنهم أقرب للأسماك التي تسبح في غار بحرى . لا أستطيع وصف الوجوه أن هذا يجعلني أوشك على فقدان الوعى . هم أقرب للبشر في شكلهم العام لكن أيديهم وأرجلهم ذوات أغشية ولهم عيون واسعة ..

قدرت أنها معبودات وثنية قديمة لقبيلة صيادين .. قبيلة الدئرت قبل أن يظهر إسمان نياندرثال أو بندون .. ووقفت شاعرًا بالرهبة أمام هذه النقوش التي تشير حبيرة أي عالم أنثروبولوجي .

فجأة رايته ..

105

بصوت خافت وهو برتفع للسطح الدفع الشيء فوق المياه السوداء . كان ضخمًا كريهًا له مظهر السيكلوب والدفع كوحوش الكوابيس نحو النصب الحجرى وأحاطه بأثرعه الصلاقة القشرية .. ثم خرج من رأسه صوت غريب ..

أعتقد أتنى جننت وقنها ..

لا أذكر كيف تسلقت المنحدر ثانية ولا كيف جريت محموسًا نحو القارب .. أذكر أننس غنيت كثيرًا وضحكت عندما عجزت حنجرتى عن الغناء أذكر عاصفة هائلة وصوت رعد وأصواتًا لا تبعثها الطبيعة إلا في أموا مزاج لها .

أفقت من الظلال في مستشفى في سان فراتسمكو ، وعرفت أن قبطان السفينة الأمريكية الذي وجدني ومط المحيط هو من جليتي هنا . نقد تكلمت كثيرًا أثناء الهنوسة لكن أحدًا لم يبال يساقت . نم يسمع منقذى عن أي انقلاب أرضى في المحيط أثناء رحلتي . ولم أر نفقا من قص قصة لن يصدقوها .

فى الليل عندما يشحب القمر ، أرى الشيء .. جريت المورفين لكنه لم يعطني سوى راحة مؤفّتة وجعنى في قيضته كعبد بلاخلاص . لهذا قررت أن أنهى كل شيء .. فقط كتبت تقريراً كلملاً ليتملى به الناس ..

لحوانًا أتصاعل إن لم يكن هذا كله خيالاً ؟.. مجرد هلاوس تتيجة الظمأ والشمس وأنا في القارب بعد فرارى من الألمان ؟.. لا أستطرع أن قفكر في البحر إلا وتخيلت الأشياء المخيفة الكامنة في الأعماق ترحف وسط الوحل، تعد أصنامها العتيقة وترسم أشهاهها على النصب الحجرية.

أحلم بيوم بنهضون فيه من تحت الأمواج ليقضوا على جنس للبشر الذي أهلكته الحروب . عندما تتكمش الأرض ويرتفع قاع المحرط ..

النهاية قريبة .. أسمع صخبًا على الباب .. كأن جسدًا زلقًا هناك ..

لن وجدتي ..

إلى النافذة ا... إلى النافذة !!

106

الغموش يجذب الغموض .. منذ اشتهر اسمى كمؤد للحركات الخارقة ، قابلت قصصاً وأحداثاً غربية اعتقد الناس أنها تتوافق مع اهتمامي . بعضها كان تافها وبعضها كان دراميًا شديد التأثير . بعضها أكسبني خبرات غريبة ، وبعضها جعلتى أدخل في بحث تاريخي منفق . لحكى عن هذه القصص لكن هناك قصبة أشعر نحوها بنفور عظيم ، لكنى أحكيها الآن تحت إغراء شديد من ناشر هذه المجلة الذي سمع كلامًا غامضًا عنها من أفراد أسرتي .

القصة تتعلق بزيارة غير مهنية قمت بها لمصر منذ 14 سنة . لست راغبًا في نشر الحقائق التي يجهلها السياح الذين يزورون مصر وتخفيها الحكومة المصرية بطاية ، برغم أنها تعرفها بالطبع . أضف لهذا أننى غير راغب في سرد قصة لعب فيها خيالي دوراً عظيمًا ما رأيته أو حسيت أنتى رأيته لم يحدث بالتأكيد . وربعا هو نتيجة قراءاتي في علم المصريات لو أضفنا نها إثارة حادث معين رهيب في حد ذاته فنسوف نفهم تلك الليك المفزعة التي مضى عليها وقت طويل.

في يناير عام 1910 أنهيت ارتباطاً في إنجنترا ووقعت عقدًا لجولة في مسارح أستراليا . كان هناك وقت واقر أسامي لذا سجين مع الفراعنة (*)

 (-) كنبها خصيصً تحية لصمايقه المشعود (هوديني) أبرع المختصين في فسود الهرب من القبود عبر التاريخ

قررت أن أتنفع به فى السفر ، وقد اصطحبت زوجتى إلى مارسيليا لنركب السفينة مالوا المتجهة إلى بورسعيد . وقررت أن أزور أهم آثار الصعيد قبل أن أتجه إلى أستراليا .

كنت مصمعًا على أن أبقى شخصيتى سراً ، لكننى تخليت عن هذا عندما قابلت زميلاً ساحراً أصر على أن يبهر المصافرين بالعليه مما جعلنى لا أقاوم الرغبة في تأدية حركاته بشكل أفضل . كان على أن أتوقع ما سيحدث نتيجة هذا التصرف . وقد حرمنى هذا وزوجتى منعة أن نعضى رحلة هادنة في مصر . لقد صمرت أنا نفسى أثراً غربياً يقف بينما يشاهده الناس ا

جننا لمصر لنرى العموض والجمال ، عندما رست السفينة في يورسعيد وركبنا قوارب صغيرة لنشط ، لم نسر مسوى مدينة صغيرة شبه أوروبية لا غريب فيها سوى تمثال (دى لسبيس) ، لهذا قررنا السفر إلى القاهرة سريفا لنرى الأهرام ومنها إلى الإسكندرية لتركب إلى أستراليا .

كاتت رحلة القطار مريحة ، واستغرقت أريع ساعات بالضبط .. أخيرا وصانا إلى القاهرة . لكن خبية الأمل لم تفارقنا لأن كل ما فراه كان أقرب إلى أوروبا ما عدا ثياب الناس .. هناك ميدان يعج بالسيارات والعربات . الجهنا لفندق (شبيرد) عبر شوارع حسنة التصميم حيث بدت لنا أسرار الشرق وسحره أشياء بعدة جدًا .

لكن اليوم التالى أخذنا إلى قلب ألف ليلة وليلة وبدا ثنا كأن بغداد (هارون الرشيد) تحيا ثانية . اتجهنا شرقًا مارين بحدائق الأربكية ثم الموسكى وسرعان ما صرنا في يد دليل سياحي لم يمر بالتطور الحديث ، لذا كان سيدًا لحرفته .

لم أعرف إلا متأخراً أنه كان على أن أطلب من الفندق دليلاً مرخصاً ، لكن هذا الدليل كان رجلاً حليق الوجه عميق الصوت يبدو كالفراعة ويطلق على نفسه (الريس عبد الله الترجمان) وكان من الواضح أن له قوة ونفوذا على رفاقه ، لكن الشرطة فيما بعد قالت قها لا تعرفه ، وإن لفظة (الريس) تطلق على أى شخص ذى سلطة .

أراثا عبد الله غراتب كنا نقراً عنها فقط فيما مضى، وكاتت القاهرة القديمة نفسها حلماً وكتاب تاريخ .. أزقة من حوار ضيقة تفوح يعظر غامض بين الشرفات الأرابيسك التي توشك على أن تتلامس فوق الشوارع المرصوفة بالحجارة . مع (كاليبوسكوب) من الأثواب والأحجبة والعماتم والطرابيش ، مع صوت المؤذنيان فوق المأذن على خلفية من سعاء زرقاء لا تتغير .

لكننا أبقينا نروة المتعة للمتحف المصرى حيث السحر المظلم لمصر الفرعونية . أخذنا عبد الله لشارع محمد على حيث مسجد السلطان حسن وحيث الدرجات التي تقود للقلعة التي بناها صلاح الدين نفسه بحجارة من الأهرام المنسية".

 ^(*) ليس هذا الوصف أدق وصف ممكن لعصر ، ولكنه الخلط المعتد أن ذهن الغربيين .

عند الغروب صعدنا إلى مسجد محمد على وألقينا من فوق المتاريس نظرة على القاهرة التي بدت قبابها بلون الذهب. الشمس تغرب الان جالبة الغسق المصرى المثير القشعريرة ، وأمامها رأينا سلويت أهرام الجيزة ، عندها عرفنا أننا النهينا من القاهرة الإسلامية وعنينا أن نسدوق أسرار مصر الأقدم. عالم رع وأمون وايزيس وأوزيريس .

في البوم السالي ذهبت إلى الجيزة قعرنا شارع الهرم، ومررنا بقرى فقيسرة . أربعية قرون كما قال بونابرت تنظر لنيا من أعلى . في النهاية وصلنا ما بين معطة الترولي وفندق مينا هاوس ابتاع لنا عبد الله تذاكر زيارة الهرم وكان واضح الكفاءة ، فقد أبعد عنا البدو الذين كانوا يترصدون بنا وأحضر لنا جمالاً .. كانت المسافة التي سنقطعها قصيرة ، لكننا لم نندم على إضافة هذه الخبرة الصحراوية المروعة إلى تجاربناء

إن الأهرام تقع على تجد صخرى عال . الهرم الأكبر يقع قرب الطريق الحديث وقد بناه الملك خوفو نحو 2800 قبل الميلاد ، شم إلى الجنوب الغربى تجد الهرم الثاتي الذي بناه خفرع وبيدو أعلى يرغم أنه أصغر . ثم تجد الهرم الأصغر لمنقرع ..

سوف تجد أهرامًا أصغر وبقايا في عدة مواضع .. سوف تجد المصاطب وتشبه مقبرة (بيرنيب) الموجودة في المتحف المتروبوليتاتي في نيويورك . جوار كل مقبرة معبد جنائزي كان الكهنة والنَّقارب يقدمون فيه الطعام للروح الهاتمة (كا).

هذا كان تمثال خفرع بالحجم الطبيعي من الصخر البركاتي والموجود الان في المتحف المصرى .. هو تمثال وقفت أمامه خاشفا عندما رأيته .. عرفت أن الألمان هم من وجدوه وتمليت أن أعرف المزيد عن تلك البنر التي قيل إن التمثال وجد فيها مع تمثليل أخرى لقردة بابون .

راح الطريق ينحنى ونحن فوق الجمال ، حتى وجدنا أنفسنا أمام الصحراء . واد من الأهرام الصغيرة خلفها يلتمع النيل شرقا والصحراء الخالدة غربًا ..

هبطنا نحو أبى الهول وجلست صامتين تحت هاتين العينين الرهبيتين النتين لا تريان .

هنا تعالت صرخات البدو يطالبون السياح بالإسراع قى إنهاء رحلة صعود وهبوط الهرم الأكبر ، وكاتوا يعتبرون الوقت الأمثل لهذه الرحلة سبع دقائق .. لكن بعض العشايخ قالوا إنهم قدرون على إنهاء التسلق والنزول في خمس دقائق لو منحساهم

بدا لي الأمر مثيرًا .. الصراع فوق هذه القمة التي تطل على صحراء الجيزة في ضوء القمر . وقد طلبت من عبد الله أن يصحبني معه قوافق .. وهكذا صلحبته وهو يجول البلدة في أحياء أكثرها شمال الأربكية ، يجمع مجموعة من البلطجية الخطرين ليصلحبوه في فتال الليلة .

بعد التامعة ركبت مجموعتنا على حمير تحمل أسماء تعلموها من السواح مثل (مورجان) و (مارك توين) وعبرنا ذلك المسر الذي يحرسه أسدان من البرونز . استغرقت الرحلة ساعتين ونحن وحدنا مع الظلام والماضى .

ظهرت الأهرام في نهاية الطريق رهبية تدعو للتوجس .. الم بعقوا هذا الملكة نيتوكريس حية إلى الأسرة الساسة ؟.. سمعت أن العرب يحكون أشياء عن هذه الملكة نيتوكريس ويتحاشون الهرم الثالث ليلا .. إنها التي كتب عنها (توماس مور) واصفا إياها بـ (سيدة الهرم) .

برغم أننا كنا مبكرين فقد وجدنا أن (على عزيز) وجماعته صيقونا .. كنا قد تجنبنا للمرور قرب مينا هاوس حنسى لا يمترقننا رجال الشرطة . واتجهنا نحو الهرم الأكبر حبث كان للبدو ينتظرون ..

البقشيش . ومن أبي رواش إلى دهشور جنوبًا رأينًا هرم صفارة الذى يمثل التحول من المطبة إلى الهرم الحقيقي . لم نستطع بخول الهرم الأكبر لأن البدو ضايقونا بالصاحهم دعث من أتنا صرنا مرهقين عاجزين عن هذه الرحلة المنهكة .

في المساء كان أفراد مجموعتا منهكين من يرتامج اليوم ، لذا مضيت وحدى مع (عبد الله) في جولة .. فقد أربت أن أرى الأزقة والبازارات في ضوء الضبق الذي يكسبها سحرًا . مشينا إلى سوق التحاسين حيث قابلنا كبيرهم .. لم يحينا كثيرًا ولم يهد سعيدًا بدليلي المخلص .. ريما لم يحب صوت (عبد الله) العميق ولريما لم يحب ابتسامة (أبو الهول) الجاذبية على شفتى . على كل حال لم يطل الوقت قبل أن يمسك (على عزيز) كما مسمعتهم ينادونه بتلابيب (عبد الله) . وسرعان ما تطور الأمر لشجار متبادل وفقد الرجلان غطاتي رأسيهما المقدسين ، وكمان الأمر ليتطور إلى أسوأ لولا أن تدخلت الأفصل بينهما .

لم يرحب الرجلان بتدخلي ، لكنهما تباعدا وراح كل منهما يستعيد كرامته ثم اتفقا على تسوية خلافهما باتفاق رهيب .. فتفاق عرفت أنه عادة عربقة في مصر . سوف يسويان ما بينهما بقبضة اليد على قمة الهرم ، بمجرد أن يغيب آخر ضوء للقمر .

دارت المعركة باللكمات وراقبتها . كانت مدريعة جداً وبرغم تحفظي على الطريقة فإنني شعرت بالفخر عندنا أعنوا أن (عبد الله)

كان الصلح سريعًا بشكل ملقت حتى إثنى صرت بصعوبة قادرًا على تذكر أن مشاجرة قد وقعت . ومن الغربب أن الاهتمام تحول نحوى أنا .. على قدر فهمي للعربية أدركت إنهم يتكلمون عنى وعن قدراتي الغريبة في الفرار من أي سجن ، وقد أثار دهشتي أتهم يعرفونني ، كما شممت راتحة عدواتية ما . وبدأت أفهم أن سحر مصر القديمة لم بيرح البلاد ، وأن ممارسات سنحرية عدة ما زالت موجودة ، إنهم يشكون في ألعاب المصواة .. وخطر لسي أن يثيلي عميق الصوت (عيد الله) بيدو ككاهن مصرى قديم.

قَجاةَ أدركت أن أفكارى لم تكن غير ذات أساس ، لأنه من دون إنذار واستجابة لإشارة خفية من (عبد الله) هجم على أولنك البدو وقاموا بتقييدي بحبال غلاظ.

قاومت طويلا لكنى أدركت أن رجلا وحيدًا لا يقدر على الانتصار على عشرين بدويًا قويًا . ربطت بداى خلف ظهرى وتُتبِتُ رِكبتاى وربطوا بدى لكاحلى .. شم وضعوا كمامة خاتقة على فمى عصبوا عينى وحملونى على الأكتاف ونزلوا بى من فوق لانهرم .

وسمعت (عبد الله) يقول إنهم سيضعون قواى السجرية تحت الاختبار حالاً .. ولسوف أفقد أى غرور اكتسبته من تجاربي في أوروبا وأمريكا .

إلى أية مسافة حملوني ؟ . . وفي أي اتجاه ؟ . . لا أعرف . . كل الظروف منعتني من تكوين رأى صائب ، لكن بالتأكيد لم تكن مسافة بعيدة ..

وضعونى على أرض ميزت أتها رمال وليست صخرًا .. ربطوا هبلا حول صدرى وجرونى إلى فتحة في الأرض ، وقاموا بإنزالي هناك . رحت أتخبط لوقت طويل في الجدران لبئر ضيقة أعتقد أنها مدفن قديم ..

كان رعب التجربة يتزايد مع كل ثانية ، وبدا لى أننى أقترب من مركز الأرض ذاته وأنه من الغريب أن يقدر حبل صنعه بشر على أن يتدلى لهذه الأعماق التي لا نهاية لها . إن حاسة الزمن تخدع المرء كثيرًا ، لكنى كنت واعيًا تمامًا حتى تلك اللحظة ولم يضف خيالي شيئًا لصورة مريعة في حد ذاتها .

لم يكن هذا سبب إغمالي الأول مرة .. لقد بدا أن معالماتي تتزايد بسرعة ، وظهر هذا واضحًا مع ازدياد سرعة الهبوط . _2_

رونيك مصرية للجيب

تدريجيًّا عنت لحواسى بعد هذا الصراع العجيب في قضاء جحومى . كانت التجربة ألومة بحق ويلا نهاية ، ولم نكن طبيعة لحلامي واضحة لكنها لضطربت في خيسلى فلم يبق منها سوي الهيكل العام .

حلمت أننى في قبضة قدم عملاقة .. قدم صفراء مشعرة ذات خممة مخالب تمتد لتهشمني .. ورأيت نفسي فريمة روح غولية من سحر النيل القديم .. أرواح وجدت حول النيل قبل أن يوجد بشر وستيقى بعد رحيلهم .

رأيت مقاير الموتى ومواكب الكهنة عير ممرات ومتاهات يصير المرء وسطها نباية . ورأيت الشر القام أسود عديه الشكل بتبعني في الظلمات ليختن تلك الروح التي تجاسرت أن تعلى هذا السعر .

في عظى الناتم كانت ميلودراما من الشر والمقت .. ومدمعت روح الشر تتاديني وتهمس يصوت غير معموع . تهبط يسي إلى فكبها الفرعوني المظلم الرهيب ..

كاتوا يداون الحبل بسرعة وقد رحت أرتطم بلا رحمة بجواتب البئر وأما أهبط بجنون . تمزقت شيابي وشعرت بالدم ينزف .. وشممت رائحة رطبة عطنة تختلف عن أية رائحة شممتها في حياتي ، فيها أثر خافت لمعطور وتوابل قديمة .

ثم جاءت الجائمة العقلية .. كانت مربعة تفوق أي وصف مرتب . كانت هذه نروة الكوابيس .. في لحظة كنت أتعلب بناب ألف وحش في تلك البنر ، وفي اللحظة التالية كنت أحلق فوق أجنحة الوطاويط في الجحيم . أحلق فوق أميال من الفضاء بالا حدود ، ثم أهبط لقراع ضار بيعث الغثيان . حمدًا لله لأن النسيان محا هذا الجنون الذي مزق روحي .

لكنى استجمعت قواى وعقلى لأتحمل هذا الرعب الكونى الذى ىنتظرتى .

ثم بدأت الرؤى تأخذ شكل وجموه بشرية . رايت دنيلي (عبد الله) في ثياب ملك وعلى ملامحه ذات تعبير (أبو الهول) السلخر . وأنا أعرف أن هذه ملامح (خفرع) الذي شبيد الهرم الثاني .. ونظرت ليده الطويلة النحيلة التي رأيتها في تعثال الحجر البركاني في متحف القاهرة . هذه البد !.. أراها الآن على (عبد الله) نفسه .. باردة تعتصرني ..

هنا بدأت أصحو .. أو أبنع نوعًا عن حالة النوم التي كنت فيها .. تذكرت الشجار وقعة الهرم واعتداء البدو .. عرفت الآن أننى راقد على أرض صخرية ندية وقيودى محكمة بشدة . كان البرد شديدًا وقد شعرت بنيار هواء بارد يمر بي ..

كاتت الجروح والسحجات التي أصابتني أثناء النزول تؤلمني بحق ، وكانت أية حركة كفيلة بأن تفعمني ألمًا .

نظرت الأعلى فوجدت أن الحبل الذي نزلت به كان ما زال يتملق لأعلى، فلم أدر إن كان البدو ما زالوا ممسكين به أم لا .. وقدرت أتى في معبد (خفرع) أو كهف لم أره أثناء جولة الصباح، وهذا يعنى أن بوسعى الفرار على أولا التحرر من قيودى .. لن يكون هذا عسيرًا أن خبراء كثيرين جربوا كل حيلة لديهم لكنهم لم يتجحوا في منعي من الهرب .

كان تفكيرى الرئيس هو هزيمة هؤلاء لذا صعمت على أن أتحرر بأسرع ما يعكن .. مع تحاشى أى جذب للحسل قد يفضح محاولتي للتحرر.

لكن تنفيذ هذا كان أصبحب من التفكير فيه ، لأن الحيل هوى ليتدلى جوارى ، وفهمت أن البدو قد شعروا بمحاولتي فتركوه يسقط في البنر ، وهرعوا ينتظرونني عند مدخل المعبد . كان الموقف غير سار لكنني واجهت ما هو أسوأ في حياتي ولم أهتر .. ولن أهتر الآن .. على أن أتحرر من قيودى ، ثم أفكر فيي الهرب من هذا سليمًا . لكن الحبل اللذي سقط قوقى كان يتكوم أكثر فأكثر بما يقوق الحبل العادى .. كان تقيلاً جداً وشي بالمسافة الهاتلة التي نزلتها . ويدأت أشعر بالنبي اختنق .. ثم الشعور بأننى هبطت كثيرًا جدًا فلابد أننى في موضع قرب قلب الكوكب ..

عندما فقدت الوعى ثانية طاردتني كوابيس مصر وأسرارها المنسية .. الموتى وتلك المقابر التي كانت بيونًا أكثر منها مقاير . تذكرت أضرحة مصر القديمة والعقيدة التي كانت وراء بنائها.

لم يكن قدماء المصريين يفكرون إلا في الموت .. آمنوا ببعث البصد كما هو وآمنوا بروح تيقى في النعيم مع لوزيريس ، ثم (الكما) قبل أن أعلب تفسى بمزيد من الأستلة ، وقبل أن أفكر في التحرر من قبودى ، كانت آلام جديدة تعزى ذراعى ورجلى . وأدركت أتنى مفطى بالام يشكل لا يمكن تفسيره بالجروح التى أصابتني أثناء الهبوط .. الشيء الذي نزع عنى الحبل قد جرحني و أحملتي بلا رحمة ، ثم توقف بلا تضير .

رحت أقك قبودى مستصلاً للقن الذي مارسته مرارًا أسلم النَصْواء والتصفيق . على أن أقف غير ماتيد غير مضمد العينيان وغير مكتوم اللهم فتريما أرى منسوءًا أعرف به أين أنا .

في النهاية ويعد وقت طويل تحررت ، فوقفت أستنشق الهواء غريب الرائحة . وأدركت أن عضلاتي متصلية لا تصمح ليي بالحركة فوراً .. لذا جلمت وفردت جمدى لقترة طويلة ورهت أفتش عن مصدر ضوء بلمح لي بمكاني .

استعت قواي لكن عيني لم تريا شيئا .. لا شيء سوى ظلمة أبنومية كالتي كنت أراها والعصابة على عيني . نهضت وأدركت أتنى قادر على المشى .. كان هناك هواء بارد كريه الرائصة لدا قررت أن هذه أقرب نقطة للمعدل ولسوف لتخذها مرجعًا لجولتي .

كان معى ثقاب وكشاف صغير ، لكن جيوب تبايي تم إقراعها من أي شيء ثقيل . مصر !.. الشرق !.. هذا الموضع من العالم يحوى الكثير من الرعب والكثير من المنحر .. جوهر الحياة الغلمضة التي تتحرك بين العالمين المنقلي والطوى بشكل مفزع . وتحاول الوصول إلى الجسد المحقط وأحياتا تستولى عنيه أو على التمثال الخشبي الذي يشبهه ..

منذ آلاف السنين وتلك الأجساد ترقد ناظرة لأعلى يعيون زجاجية باتنظار البعث ، وباتنظار أن تجتمع فيها الكا والروح ليخرج الموتى من دار النوم . ريما يتحدث الناس عن اجتماعات غير مقدسة في هذه الكهوف والأقبية لا يعضرها سوى كا وهذه المومياوات .

من أفظع المومداوات تلك التي تجمع بين جذوع بشرية وأطراف هيواتية ، والتي زعم الكهنة أنها ناجمة عن قحاد بين البشر والحيواتات للوصول إلى أشباه آلهة . أما ما عدث لهذه المومياوات فلا نعرف .. لم يجد أي عالم مصريات ولحدة منها . يقولون إن خفرع ما زال حيًّا تحت الأرض وقد نزوج نيتوكريس وهو يحكم المومياوات التي لا هي يشر ولا وحوش .

حلمت يخفرع ومملكته من الموتى .. لهذا أتا مسرور الكنى نسيت أكثر هذه الكوابيس .

عندما أفقت من غيويتي المظت أن ذلك الحبل الثقيل الذي كان يجده قوقى ويخنفنى غير موجود .. هذلك من رفعه عنى ! أمّا وهدى ... لكن مع أي شيء ؟

قررت أن أتبع تيار الهواء الغريب، فهو سوف يقودني إلى فتحة من أى نوع . ربعا أفضل .. هذا أعرفه .. فمن الواضح أن هذا ليس جزءًا من معبد خفرع الـذي يعرفه السياح ، ريما هو موضع لم يسمع عنه أي عالم أثرى من قبل ، فلا يعرف سوى الأعراب الذين معنوني .

هل هي نهايتي ؟ . . ريما كان من الرحمة أن تكون هذه هي لحظاتي الأخيرة ..

فقدت وعيى من جديد ... كلما تذكرت تلك الليلة شعرت بنوع من الدعابة في الأمر الأنفي تذكرت الأفلام الميلودرامية التي كاتت موضة العصر هيث كانت الإغماءات تتتابع .

ريما كاتت تلك هلوسة طويلة بدأت بهبوطي في البنر وانتهت بي في صدراء الجيزة على الرمال تحت الشمس الحارقة . فيما بعد قال لى رجال الشرطة إن مدخل معبد خفرع كان مفتوحًا وإن هناك صدعًا إلى السطح ما زال موجودًا . من الغريب أن وصفى للدليل لم يساعد أى واحد في أن يعرف من هو .. الريس عبد الله الترجمان الذي بيدو وبيتمام مثل الملك خفرع .

لقد ابتعت عن قصتى الأصلية ربما لأتجنب هذه النقطة التي أعتبرها هلوسة . عندما أفقت أو خيل لى إنني أفقت ، عرفت أننى

تعثرت فوق درجات حجرية . وكانت الربح الكريهة قوية الآن بشكل شيطاني .. لكنني كنت قد الفتها . بدأت أرحف وأنا أتحسس الأرض بيدين داميتين . اصطدم رأسى يعمود .. عمود عمائ لدرجة لاتوصف مغطى بنقوش هيروغليفية استطاعت بدى أن تميزها .

قابلت عدة أعمدة عملاقة على مسافات متساوية كبيرة وهنا قطنت إلى أنني أسمع صوتًا .. صوتًا ظل يتردد في لا وعيى فترة طويلة قبل أن تعيه حواسى . ثم فطنت أنها أصوات عديدة .. أصوات تؤدى طقوسًا ما لا شك فيها .. دق دف ... ضربات على الهارب ..

شعرت بذعر يفوق أي ذعر عرفته .. ذعر تجاوز ما هو شخصى ليصير نوعًا من الشفقة على كوكب الأرض الذي يحتضن هذه الأسرار العروعة . الصوت يتعالى كأنهم يقتربون .. شم بدأت أسمع خطوات هذه الأشياء التي تعشى ..

فليرحمني الله !.. إن هذه الأشياء تقترب وصوت خطواتها وزحقها منتظم شحدته آلاف الأعوام من التدريب .. هذا مكان اجتماع المومياوات التي لا روح لها .. ملتقى الحائرين ..

افتربت الخطوات .. وتواريت خلف عمود حجرى محاولا إبعاد الرعب عنى . الرعب الذي يزحف يمليون قدم نحوى ، ورأيت ضوءًا خافتًا .. كان حجم الفتحة يتناسب مع حجم الأعمدة العملاق .. يمكن لبيت علاى أن يفيب فيها تمامًا ..

أمام هذه الفتحة كاتت تلك المسوخ تلقى بأشسياء .. ريما قرابين كما قهمت من حركاتها ..

القلد كان خفرع .. يعيارة أخرى كان مرشئنا (الريس عبد الله) وجواره الملكة الصناء (نيتوكريس) التي قركت في لمحة أن نصف وجهها التهمته الفئران .. ثم رأيت ما كانوا يقذفونه في الفتحة فأغمضت عيني ..

لمن يتعبدون ؟ . . أوزيريس أو إيزيس ؟ حورس أم أتوبيس ؟ . .

خطر ببالى القرار .. القاعة مظلمة والأعمدة عملاقة والكل مستغرق في الطقوس .. ريما أصل إلى تلك الدرجات وأصعد دون أن يراني أحد . بدا لي من المسلى أن أحاول القرار من هذا المكان الذي هو حلم ..

بدأت الزحف على بطنى متجهًا نحو أسفل الدرج الأبسر . كان هو الأقرب . من قصعب أن أصف مشاعري أثناء هذا الزهف لكن بوسع المرء أن يتخيل .. كان أسقل الدرج في الظلال البعيدة يرتفع إلى ما فوق تلك الفتحة . هكذا صرت على مسافة معتولة من الحشد وإن أفرعني منظره برغم أثني صرت بعيدًا . لم أحاول النظر لتلك الأشياء الماشية .. فقط مسمعت مقاصلهم التي تحدث صريرًا وأتفاسهم التي تعبق بالنترات .. من الرحمة أنهم لم يتكلموا .. لكن رياه !.. مشاعلهم كقت تلقى ظلالا مجنونة على الأعمدة .. أقراس النهر لا يجب أن تكون لها أدرع يشر أو تحمل مصابيح .. البشر لا يمكن أن تكون لهم رعوس

حاولت أن أبتع لكن الظلال والأصوات والرائحة الكريهة كانت في كل مكان .. هكذا تذكرت الحيلة التي كنت أرددها لتفسى وأتا طفل: ﴿ هذا حلم !.. هذا حلم ا.. » .. لكنها لم تجد كثيرًا ..

كان على أن أفتح عيني عساى أتبين في هذا الضوء شيئا يدائي على مكانى ، لكننى كنت مضطرًا لفاق عينى عندما رأيت سُينًا يتحرك بلا جدع فوق خصره ..

كاتت غرغرة الموتى تعلأ العكان والهواء صار خاتقا من لهب المشاعل . وفتحت عيني مرغمًا الأرى مشهدًا لا يمكن أن تتحمله عين بشرية .. نقد وقفت الأشياء في قنجاه ولحد بينما مشاعلهم تعكس رجوسهم المحتية أو رجوس من كاتت لهم رجوس . كاتت تتعد أمام فتحة تتصاعد منها أبخرة كريهة وأدركت أن على جاتبيها درجات سلم عملاقة .. إذ رأيته هرعت أتملق الدرجات ورحت أتسلق عبر مسطحات وسلام لم يرها بشرى من قبل ولا تخضع لمنطق . لابد أن هذا كان حنمًا ..

لابد أنه كان حلمًا وإلا ما وجدنى الفجر أتنفس فوق رمال الجيزة أمام وجه أبي الهول الباسم الساخر .

أبو الهول العظيم !.. السؤال الذي سألته لنفسى .. ما الشيء العملاق المخيف الذي تحتوا هذا التمثال ليمثله ؟

منعون هى تلك الرؤيا التى جعلتنى أرى الرعب الأعظم ...
ليكن حنما أو لا .. الكانن المروع الذى يقبع فى هوة سحيقة ،
ينتهم ما تقدمه له مصوخ بلا روح ما كان يجب أن توجد .
المسخ ذو الرعوس الخمسة .. المسخ ذو السرعوس الخمسة العملاق ..

نكنى عثمت .. وأؤمن أن ما رأيته كان مجرد حلم .

هـ. ب ، الأفكر اقت

127

نجحت في بلوغ الدرجات ورحت أتسلق ملتصقًا بالحائط ..

كانت الدرجات منحدرة وضخمة كأنها مخصصة لقدمى عملاق ويدا لى الصعود بلانهاية . خوف أن يرونى وألم جراحى المتجدد جعل هذا التسلق ذكرى أليمة . وكنت قد صممت على ألا القى نظرة تحتى حتى لا أرى هذا الجمع المخيف الجيفى الذي يقوم يطقوس مروعة على بعد سبعين قدمًا من تحتى . فجأة تردد صوت هذه الغرغرة . وتصلبت للحظة ثم أدركت أنه نوع من التراتيل وليس يسبب اكتشافى ..

كاتت المسوخ تحيى شيئًا تحرك فى الفجوة كى يظفر بما قدموه له . كان شيئًا رخوا أصفر مشعرًا ذا حركة عصبية . لم يكن له عنى لكن له خمسة رءوس تبرز فى صف من جذع أمطواتى ..

من هذه الرعوس برزت ممسات صلبة غربية تعمدك بالطعام الذي أدخلوه في الفجوة . أحيانًا كان الشيء يعود للفتحة وكانت حركاته غربية ، عصية على التفسير لدرجة أننى تصلبت مذهولاً متمنيًا أن بيرز أكثر .

هنا خرج .. تعم خرج ...



نداء كُتُولُو

(العزيف) و (نيگرونوميكون) و (كتولو) و (آرخام)
و (إينزماوث) .. مفردات عالم الافكرافت كاتب الرعب
الأمريكي الأشهر ، التي يستعملها في كل قصصه تقريبًا . .
عشاق أدب الرجل يعرفون معنى هذه الكلمات لدرجة
أنهم يشعرون بتوتــر غامض عند سماعهـا ، والبعض
يشعر بأن الافكرافت هو نفسه شخصية مرهقة حساسة

اليوم نابى نداء (كتولو) الرهيب النائم في أعماق المحيط وتعرف أكثر ...

مريضة من شخصيات قصصه .

العدد القادم تورد جيسم

> الهؤسسة العرب<u>المالحينة</u> سربطريوسيسية

الشمل في مصر 400 وما يعادلت بالدولار الأمريكي في سافر الدول العربية والعالم

